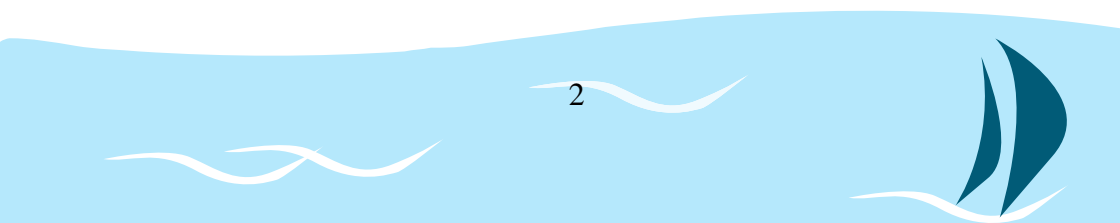


رسالة الفن

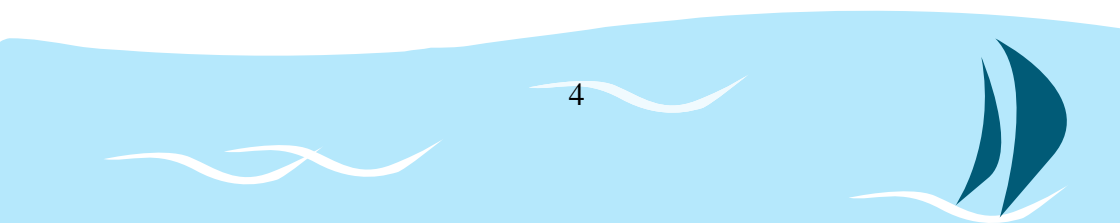
محمد العربي أبو حزم





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا
وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا)¹

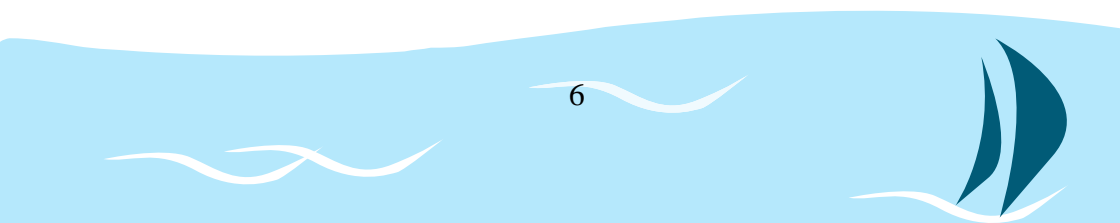




إهداء

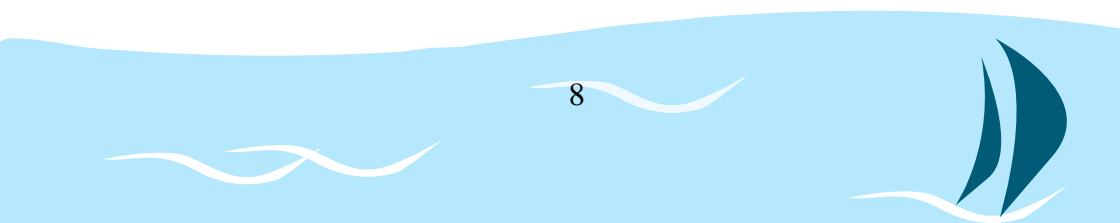
إلى هدهد سيدنا سليمان
عليه وعلى سيدنا محمد أزكى الصلاة وأتم السلام





استفتاح

(رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ
عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ
وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي
إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)*



مقدمات





مدخل

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات..

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد وآله الطيبين وصحابته

الأكرمين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..

أما بعد..

فما محل الفن من الإعراب في سياق جملة الدعوة؟

هل الفن "بدعة" ما كان أغنانا عنها، كما يحلو للبعض أن يقول؟

أهو "ديكور" في واجهة البناء الدعوي لا تأثير له في قوته أو ضعفه أو قيمته؟ أم هو في أحسن الأحوال مجرد أداة ترويجية تلطف الأجواء وتريح من أعباء الدعوة؟

ما الذي ساهم في هذه النظرة؟

هل ساهم فيها كون أهل الفن فينا هم من البسطاء الذين لا يعرفون إذا حضروا ولا يُتَقَدُّون إذا غابوا؟

الأهم لا يحملون على أكتافهم نياشين تُسَبِّلُ عليهم وعليه من هيبتها ما يجعل لهم وله شأنًا بين أهل الدعوة كبيراً؟

أم لأنهم يقفون عملهم الدعوي على هذا التخصص الذي يُعتبر في كثير من الأحيان مجرد "نشاط" بكل ما لهذه الكلمة من إحياءات؟

هل الفن قاسم مشتركٌ فيه بين بني البشر لا نسب له إلا نسب الإنسانية، ولا لسان له إلا لسان الإنسانية، فيكون من أجل ذلك فنُّ زيدٍ أو عمرو من الناس صالحاً لأي إنسان ما دام إنساناً، ويكون لساناً من اللسان يفهمه ويتذوقه وينفعل ويتفاعل معه كل إنسان، وديناً من الدين يهيمن على روحية كل إنسان ويتقمصها ويوجهها؟

لقد أضحت مقولة: "الفن لا وطن له" شعاراً مظلةً يتسلل تحتها كل فن سقيم. ولا يقف الأمر عند حد تأثر المتلقي بفن وذوق الملقي الغازي، بل يتجاوزهُ إلى تأثره بِسَمْتِهِ وفكره وأسلوب حياته ونظرتِهِ إلى الكون والحياة والإنسان. بهذا يكون الفن أخطر من ألف خطبة وموعظة وكتاب.

إن الفن، أيُّ فنٍّ مهما كان لونه، يحمل في طياته روحَ وفكرَ وأسلوبَ حياةٍ حامِله، ويبقى دائماً وأبداً مُرتَبِطاً بمنبعه ارتباطَ الجنين بِرَحِمِهِ.

كيف يكون فننا لساناً آخر من ألسنة الحكمة، وباباً آخر من أبواب الرحمة، ناطقاً بلغته عن روحهما، مشيراً بعبارته إلى سعتهما، مستميحاً من عيون فيوضاتهما؟

أم كيف يكون سبيلاً من سُبُلِ الدلالة على الحق، ونوراً من أنوار الهداية إلى الرشَد؟

أم كيف يكون يداً وضيئةً من أيادي الدعوة المجيدة؟



هل نطمع أن نؤسس حركة فنية تنتسب إلى الوحي وتكون جناحاً فنياً
للدعوة؟ وَمَنْ هؤلاء وكيف هؤلاء الذين نطمع أن يحملوا لواء هذه الحركة الفنية
المنتظرة؟ وكيف نُجَنَّبُهَا أن تنطلق من مرجعية واحدة أصيلة في النية وتسقط،
لا قَدَّرَ الله، في مرجعيات مُرَكَّبَةٍ هَجِيئَةٍ في الفعل؟

ما هي خصائص خطابنا الفني ورسالتنا الفنية؟

ما هو، في كلمة واحدة، مشروعنا الفني؟

أَسْئَلُهُ يُرَامُ بِالْجَوَابِ الْفِكْرِي التَّخْطِيطِي الْمِيدَانِي الْعَمَلِي عَنْهَا التَّعَرُّضُ
لنَفَحَاتِ اللَّهِ فِي أَيَّامِ دَهْرِنَا هَذِهِ، وَالتَّمَاسُ أَنْوَارِ الصَّبْحِ الْقَرِيبِ الْقَرِيبِ، حَتَّى لَا
تَشَقَّ قَافِلَتُنَا طَرِيقَهَا نَحْوَ مَا لَا تَدْرِي، وَحَتَّى لَا تَتِيَهُ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ عَنِ الْخَطَّةِ
وَالدَّلِيلِ الْمَوْجَّهِ الْخَبِيرِ، وَحَتَّى لَا يَضَعَ الْفَرَسَانُ الْحَبَالَ عَلَى غَوَارِبِ أَفْرَاسِهِمْ قَبْلَ
أَنْ يَتَبَيَّنُوا سَبِيلَهُمْ. وَعِنْدَ الصَّبَاحِ، يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى.



الفنّ والدعوة

الفنُّ سَمَتْ حَسَنٌ في القول والفعل والحال، وذوقٌ رقيقٌ راقٍ في الاختيار والأسلوب، وتفاعلٌ إيجابي مع الكينونة الكونية التي أبدعها البديع الجميل وأسبغ عليها من جماله سبحانه ما لا يملك الإنسان أن يقول أمامها إلا: الله...

الفن دعوةٌ للحب، ودعوةٌ للتأمل في الآفاق وفي الأنفس بقلب متنور وعقل متدبر وإحساس مرهف وذائقة راقية.

والدعوة فنُّ الحياة والتعبير والتواصل والتأثير والتغيير.

الفن استدلال على المبدع الجميل بما بثَّ في الآفاق وفي الأنفس من حلل الجمال.

إن الله تعالى إذ يدعونا إلى التدبر في كتابه المقروء وكتابه المنظور تدبراً حياً، فإن من أولى أولويات الفن أن يكون سلكاً مُوصِلاً لهذه المعاني وجسراً مأموناً عليه بين قلوب الناس من جهة وبين المنظور والمقروء من جهة ثانية.

إن على الفن أن يكون عنصراً أصيلاً في نفس الإنسان الذي نُنشِده وفي تفكيره وسلوكه وبيئته، بقدر ما هو عنصر أصيل من عناصر هذا الكون الذي نحى فيه. بهذا تتناغم حركة الإنسان مع حركة الكون لِيَعْرِفَا معاً لَحْنَ العبودية الخالد.

الفن!



هذه اللفظة الحاملة المناسبة من النفس وأغوارها.. المتسللة عبر مسارها ومنعرجاتها.. السابحة في كونٍ غير محدود من السحر والخيال.. الحاملة لآلام وآمال هذا الإنسان..

والحرية!

هذه الكلمة البراقة الساحرة، التي سعى الإنسان منذ خلقه الله تعالى إلى تحويل كل حرف من حروفها إلى عوالم من الانطلاق لا تعرف الحدود والقيود والسدود..

الفن والحرية!!

هذا الشعار الجميل؛ هذه التركيبة الكيميائية المزدوجة التي تُحدثُ باتحاد وانسجام وتفاعل عُنْصُرَيْهَا أعظمَ ما يُخلِّدُ الإنسان، أو أخطر ما يبدد الإنسان!! نريد أن يكون الفنُّ لساناً من ألسنة الدعوة فصيحاً، ويداً من أياديها قويةً فاعلةً ببناءة؛ أفلا تكون الدعوة بهذا رَمْساً لكل إبداع أصيل، وقيدا مُقيّداً لكل فن جميل؟!!

كيف تلتقي الدعوة وهي عنوان الالتزام والانضباط، مع الفن وهو رمز الحرية والانطلاق؟

كيف هي نظرة الدعوة إلى الفن؟

أهي نظرة لأصلٍ أصيل فيها، ومعنىً مكين منها؟ أم هي نظرة جندي أعزل لسلاح فتاك في معركة طارئة؟!!



أهي نظرةٌ إلى رسولٍ نُحَمِّلُه رسالتنا إلى الناس يبلغها إليهم بوجه صبور
ولسان فصيح؟ أم هي نظرةٌ إلى عابر سبيل تقاطعت طريقنا مع طريقه في نقطةٍ ما
والحظةٍ ما ثم مضى كل إلى غايته إلى غير تلاقٍ؟!

وما غايتنا وما غاية الفن إن لم نلتق على غاية سامية من أجلها خُلقنا؟!

كيف تكون علاقة الدعوة بالفن؟

أتكون علاقةٌ توظيف لآلة تُخْرِجُهَا الضرورةُ من كهوف الحرام أو المكروه،
أو اللغو أو اللهو إلى ساحة الميدان لتؤدي، في حدود ضيقة، دوراً مؤقتاً تعود بعده
إلى كهوفها في انتظار حِيعَلَةٍ ثانية أو ثالثة أو رابعة؟!

أسئلة من هذا النوع لا بد أن يساهم الجوابُ عنها في إثارة الانتباه لهذا
الموضوع الخطير؛ لأن دعوةً لا يمثل الفن عنصراً أصيلاً من عناصرها لا تستحق أن
تستوعب أو تحتضن بين أذرعها نفائس أرواح الناس، بل لا تستطيع!



سُلْطَانُ الْفَنِّ

نريد أن ننفذ إلى قلوب الناس نُبْلُغَهَا رسالةً ربها، فهل نستطيعه دون

سلطان؟

هل بمكنة الفن أن يستوعب الحقائق العظمى للوجود ويكون رسولاً مبلغاً

من رسلها ولساناً فصيحاً من ألسنتها وترجماناً أميناً مأموناً من تراجعها؟

روت السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم يوماً لأصحابه: "أتدرون ما مثل أحدكم ومثل أهله وولده وعمله؟"

فقالوا: الله ورسوله أعلم. فقال: "إنما مثل أحدكم ومثل ماله وأهله وولده وعمله

كمثل رجل له ثلاثة إخوة، فلما حضرته الوفاة دعا بعض إخوته فقال: إنه قد

نزل بي من الأمر ما ترى، فما لي عندك وما لي لديك؟ فقال: لك عندي أن

أمريضك ولا أن أملك، وأن أقوم بشأنك. فإذا متَّ غسلتك وكفنتك وحملتك

مع الحاملين، أحملك طوراً وأميط عنك طوراً، فإذا رجعتُ أثيت عليك بخير

عند من يسألني عنك. هذا أخوه الذي هو أهله. فما ترونه؟" قالوا: لا نسمع

طائلاً يا رسول الله. أي لا نسمع شيئاً فيه منفعة. "ثم يقول لأخيه الآخر: أترى ما

قد نزل بي، فما لي عندك وما لي لديك؟ فيقول: ليس لديك عندي غناء إلا

وأنت في الأحياء، فإذا متَّ ذُهِبَ بك في مذهب وذُهِبَ بي في مذهب. هذا

أخوه الذي هو ماله، كيف ترونه؟" قالوا: لا نسمع طائلاً يا رسول الله. "ثم يقول

لأخيه الآخر: أترى ما قد نزل بي وما رد علي أهلي ومالي، فما لي عندك وما لي

لديك؟ فيقول: أنا صاحبك في لَحْدِكَ وأنيستك في وحشتك، وأقعد يوم الوزن في ميزانك فأثقل ميزانك. هذا أخوه الذي هو عمله. كيف ترونه؟" قالوا: خير أخ وخير صاحب يا رسول الله. قال: "فإن الأمر هكذا". قالت عائشة: فقام إليه عبد الله بن كرز فقال: يا رسول الله: أتأذن لي أن أقول على هذا أبياتاً؟ فقال: "نعم". فذهب فما بات إلا ليلة حتى عاد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقف بين يديه واجتمع الناس وأنشأ يقول:

فإني وأهلي والذي قدمت يد كداعٍ إليه صَحْبُهُ ثم قائلٍ
لإخوته إذْ هُمْ ثلاثةٌ إخوةٌ أعينوا على أمرٍ بيَّ اليومَ نازلٍ
فراقٌ طويلٌ غيرُ مُتَثَقِّ به فماذا لديكم في الذي هو غَائِلِي
إلخ...

فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكى المسلمون من قوله. وكان عبد الله بن كرز لا يمر بطائفة من المسلمين إلا دعوه واستنشدوه، فإذا أنشدتهم بكوا¹.

!!!

حادث لا ينبغي أن نمر عليه مرور الغافلين، وحديث ما أجدر أن نلتمس عنده نوراً وأيّ نور..

1- حياة الصحابة للكاندهلوي، ج4 ص: 340.



كيف يعظ النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه عظة الموت فيتأثرون...
ويترجم عبد الله بن كرز العظة نفسها إلى لغة الشعر.. لغة الفن.. فيتأثرون...
ويكون... ويكي النبي صلى الله عليه وسلم في الباكين؟!!

هل أضاف شعر الشاعر إلى العظة ما جعل لها على نفوس الصحابة سلطاناً
مبيناً؟!!

ربما نَنَحِّجُ بضعفنا أو غفلتنا عن أنوار الكتاب الكريم وعن أنوار الحديث
الشريف، فهل يستطيع الفن أن يكون البراق الساري بنا في عتمات النفس إلى
حضرة القدس ويعرج بنا شيئاً قليلاً في سماوات الوصول إلى حيث لا ظل يزول
ولا سَحَبٌ تَحُولُ؟

إن ضعفي وكثافة حُجُبِ نفسي هي التي تحول دون أن أَرِدَ من منبع النور
وَرِدِّي مباشرة دون "وسيط" له "سلطان" على النفس وأي سلطان. وسيط يترجم
لي عن الوحي أسرارَه وأنوارَه ويُفيض عليَّ من نفحاته وبركاته.

روى الإمام أحمد عن ابن عَبَّاسٍ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ بَيْنَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ
مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا، وَإِنَّ مِنَ الشَّعْرِ حُكْمًا".

من البيان ما له مفعول السحر؛ و"السحر" هنا اجتهد في إحسان عرض
الأشياء على الناس وتلطَّف إلى نفوسهم بما رُخِّصَ لنا فيه.



السحر تغيير للحقائق في أعين الناس، حتى ليصوّر الحق عندهم باطلاً والباطل حقاً؛ تماماً كما فعل سحرة فرعون إذْ (قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ)¹.

أما نحن فإن مهمة البيان، والفنُّ بَيَانٌ، أن يَجْلُوَ ويكشف عن أعين الناس غشاوة الزَّيفِ وُيُبْلِسَ الحق لباس الزينة ويروه كما هو فعلاً فيتبعوه، ويروا الباطل باطلاً كما هو فعلاً فيجتنبوه؛ تماماً كما كَشَفَتْ عصا موسى، وهو من أهل الحق، زيفَ سَحَرَةِ فرعون وهم كانوا، قبل إنابتهم، أهلَ باطل.

فكيف، بعد هذا، نُقَدِّمُ بين يدي الله ورسوله ونزعم، بلسان الحال أو المقال، أنه ما لنا إلى الفن من حاجة؟!!

وروى الدارمي عن أبي سلمة أن عمر بن الخطاب كان إذا رأى أبا موسى قال: "ذَكَّرْنَا رَبَّنَا يَا أبا موسى". فيقرأ عنده.

لكأنَّ صوت أبي موسى الجميل، الذي وصفه الحبيب صلى الله عليه وسلم بأنه مزمار من مزامير آل داود، هو الذي يضيفي على القراءة صفة التذكير. ذلك أن الصوت الحسن يتسلل إلى أعماق القلب دونما إذن أو مفتاح لأنه هو بذاته مفتاح، وإلا لاكتفى عمر بن الخطاب بقراءته هو نفسه أو بقراءة غير أبي موسى.

← { خاصية أولى من خصائص الفن:
التذكير بالله }

الفصل الأول

أسُس المشروع الفني





الأساس الأول: التصور الواضح

وأقصد التصورَ الكليَ لوظيفة الدعوة، أولاً، فالتصورَ الجزئيَّ، الفنيَّ هاهنا، ثانياً..

لا بد من وجود تصور واضح لرسالة عملنا الفني مُستمدَّ من منهاج سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. منهاجٌ هو لنا كالنجم للساري، به نقتدي فنهتدي. منهاجٌ نعتبره منطلقاً لنا وحادياً في زمن الشرود والانفلات، وبوصلةً موجهةً في عتمة ليل الضياع المُدِيرِ بعد حين إن شاء الله، وإطاراً للعمل وَسَطَ فَوْضَى الأسواقِ الحَالَةِ المُرْتَحِلَةِ.

إن العمل ينطبع، في غياب المنهاج النبوي الخالد، بطابع الارتجال وردود الفعل مما يشير ولا يبين، وينفعل ولا يفعل، ويتحرك ولكنه لا ينسجم في حركته كعضو في جسد الدعوة مع حركات باقي الأعضاء في اتجاه حركة نورانية عامة تتسم بالفاعلية والقوة والدقة والحيوية والحكمة.

ولا يزال البعض يظن بأن "العمل هو مفتاح النظرية"، أي إن العمل هو إمام العلم!

لا شك أن العمل يفتح أمام العالم العامل آفاقاً رحبة لتأمل ومراجعة وتصحيح الخطأ في جزئياتها وأسلوب تنفيذها على أرض الواقع، ولكن ليس إلى الحد الذي يصبح فيه العملُ هو المصدرَ الرئيسَ لوضع الخطأ.



إن غياب الانسجام بين أعضاء الجسد الواحد لا يمكن أن يؤدي إلى سير قاصد في خطوه منسجم في حركته، بل يمكن أن يؤدي إلى تعارضٍ فتخبطٍ فصراعٍ بين أعضاء الجسد الواحد...

وربما تَوَحَّدْنَا على تصورٍ ما، غير أن هذا التصور إن لم يكن سليمَ المرجعية، أصيلَ المنبع، واضحَ المعالم، شاملَ الخطاب، فلن تَنَسَّمَ للتغيير المنشود عبيراً.. [قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني]¹.

الفهم العميق للمشروع الدعوي الكلي وللمشروع الفني الجزئي المنبثق منه شرط أساسي في البناء، إذ يُؤمُّ العملَ بحيث تزحف المشاريع الجزئية كلها على ضوء المشروع الكلي في ثقة إلى حيث تُفْتَلُ كل حبالها لِتُكَوَّنَ عقدة قوية تسري منها حياة جديدة متجددة تداوي الأمة من حيث دبَّت إليها الأدواء.

انبعاث على بصيرة لا في غموض..

على هدى لا على ضلال..

على نور لا على جهل..

* * *



الأساس الثاني: التخصص

يَعْتَبِرُ الْبَعْضُ أَنَّ الْإِتْسَابَ إِلَى الْحَقِّ وَحَسَنَ النِّيَّةِ وَبَذَلَ الْجُهْدِ أُمُورًا كَافِيَةً تَشْفَعُ لَنَا لِلتَّأْثِيرِ فِي الْوَاقِعِ وَإِثَارَةِ انْتِبَاهِ النَّاسِ إِلَى بَضَاعَتِنَا مَهْمَا كَانَتْ طَرِيقَةُ عَرْضِهَا سَيِّئَةً. وَالْحَلْبَةُ لَا تَرْحَمُ الضَّعِيفَ مَهْمَا كَانَ صَادِقًا؛ يَكُونُ أَجْدَرَ بِالْشَفَقَةِ إِذْنًا.

لَا يَكُنْ عَجْزُنَا وَكَسْلُنَا أَوْ قِصَرُ نَظَرِنَا وَمَحْدُودِيَّةُ فَهْمِنَا "مَرْجِعِيَّةً" نَنْتَلِقُ مِنْهَا فِي التَّأْسِيسِ لِتَصَوُّرٍ يَرَى فِي التَّمَكُّنِ مِنْ لِسَانِ الزَّمَانِ وَلُغَةِ الْعَصْرِ وَسِلَاحَ الْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ مُضِيعَةً لِلْوَقْتِ!!!

لَا بَدَّ مِنْ تَخْصِصِ مِيدَانِي وَتَكْوِينِ فَنِي يُمْكِنُنَا مِنْ لُغَةِ التَّوَاصُلِ مَعَ النَّاسِ دُونَ عَنَاءٍ، وَيُفْتَحُ لَنَا مَغَالِيقَ قُلُوبِ أُمَرَّائِنَا أَنْ نُحَسِّنَ التَّلَطُّفَ إِلَيْهَا بِمَا رُخِّصَ لَنَا فِيهِ...
مِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يَرَى لَنَا حَاجَةً إِلَى الْفَنِّ بِالْمَرَّةِ! وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَرَى لِلتَّخْصِصِ فِيهِ ضَرُورَةً! وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَرَى أَنْ نَهْتَمَّ بِمَا يُمْكِنُ أَنْ يَكْفِينَا مَوْثِقَتَهُ غَيْرُنَا!!!

غيرنا؟؟!!

يَنْبَغِي أَنْ لَا نَجْعَلَ مِنَ الْآفَاقِ الْمَحْدُودَةِ أَوْ مِنَ النُّفُوسِ الَّتِي تَقْنَعُ بِالْقَلِيلِ، حَيْثُ يَجِبُ الطَّمَعُ فِي الْكَثِيرِ وَالطَّمُوحُ إِلَى الْمَعَالِي، سَقُوفًا إِسْمَنِيَّةً تَحْجُبُ عَنَّا فِضَاءَ الْإِنْتِلَاقِ وَتُهَشِّمُ رُؤُوسَنَا عِنْدَ أَيِّ مُحَاوَلَةٍ لِلِاخْتِرَاقِ.



بالتوكل على الله تعالى وحسن الظن فيه سبحانه والتسليم له والرجوع إليه
في الصغيرة والكبيرة والدخول من باب التضرع تُرَشِّحُ أنفسنا لنكون من بُنَاةِ
الصرح الموعودِ المبشِّرِ أهلُه بالفوز دنيا وأخرى.

ونحن مع هذا كله لا نكون إلا قدراً من أقداره سبحانه، نلتقي بها مع
موعود الله عز وجل، والله لا يُخلف الميعاد...

فهلاً نَفَرَ منا طائفة يتخصصون في لغة الفن لِيُسمعوا من الناس من لا يفهم
غيرها ويتواصلوا بلسانها معهم خير تواصل.

* * *



الأساس الثالث: الفاعلية الميدانية

ووجود التصور السليم الأصيل الواضح الشامل، والتكوين العلمي التخصصي، أمثلُ أن يبقيا "زينة فكرية" في غياب العامل الفاعل الحاسم.

العناصر السلبية المُسوِّفة المتماوتة المزاجية الانفعالية أُولَى بها مدرجات المتفرجين المتلقين حين يرقى غيرهم درجاتِ العطاء على "منبر حسان".

هناك من يتحمس بعد نجاح عملٍ جزئيٍّ ما ويتحفز، لكنه لا يلبث أن يخلد إلى أرض الفشل بعد أول عقبة تتحداها، أو بعد أول سحابة تعكر صفاءَ سماءِ نفسه. الحركة الفنية التي يجب أن نسعى جاهدين مجاهدين لتأسيسها تتطلب نفساً طويلاً لا يكل ولا يمل. نزرع اليوم بذور التغيير ونلج باب التضرع، ولا نستعجل الثمار قبل أوانها.

العمل تلو العمل، والمبادرة إثر الأخرى، والتقويم بعد التقييم؛ بنفسٍ طويلٍ طويلٍ ويقينٍ عظيمٍ لا يتسرب إليه ريب في أن للبيت رباً يحميه وأنا أجراء عند من له الخلق والأمر وهو على كل شيء قدير.

نحتاج إلى الرموز الفاعلة والمؤثرة التي تجمع بين الفهم الشامل لمنطلقات الدعوة وغاياتها ووسائلها في الزمان والمكان والحال، من جهة، وبين التخصص العلمي العملي الميداني من جهة ثانية؛ وإن كان البعض يرى أن المجال الفني أبسطُ من أن يحتاج إلى من يبذل فيه وقته وفكره وهمه! هؤلاء ألقوا بسلاح من



أسلحتهم فتَّاك ودخلوا أرضَ معركةٍ لا ترحم العُزْلَ، ورضوا بأن يكون لسانٌ من
السنةِ الحقِّ حاسمٌ أحرصَ معطلاً.

إن دعوة هي دعوتنا لا غنى لها عن رموز فنية تترجم مشروعها العظيم إلى
اللغة التي يفهمها كل الناس ويحبها كل الناس ويتأثر بها كل الناس وتلتف حولها بها
قلوب كل الناس.

وهناك من يرى، بسبب ما يلاقيه في الميدان من عقبات، أنه، انتظاراً
للفرج، يستسلم للقدرة الإلهية، مع أن قمة الاستسلام للأقدار هي في بذل الوُسع
في العمل وفي الدخول من باب التضرع والتوكل على مُقدِّر الأقدار.

روى البخاري ومسلم ومالك عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرِغَ لَقِيَهُ أُمْرَاءُ الْأَجْنَادِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ
الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّامِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَالَ
عُمَرُ: ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ
بِالشَّامِ، فَاخْتَلَفُوا فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ وَلَا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ. وَقَالَ
بَعْضُهُمْ: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا نَرَى أَنْ
تُقَدِّمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ. فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي ثُمَّ قَالَ: ادْعُوا لِي الْأَنْصَارَ فَدَعَوْهُمْ
فَاسْتَشَارَهُمْ فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلَافِهِمْ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي ثُمَّ
قَالَ ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشِيخَةٍ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ
يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلَانِ فَقَالُوا: نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلَا تُقَدِّمَهُمْ عَلَى هَذَا
الْوَبَاءِ فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ فَأَصْبَحُوا عَلَيْهِ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ



الْحَرَّاحُ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ.. نَعَمْ، نَفَرُ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ. أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ إِحْدَاهُمَا خَصِيبَةٌ وَالْأُخْرَى جَدَبَةٌ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصِيبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدَبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ؟ قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ فَقَالَ إِنْ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تُقَدِّمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ". قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهُ عُمَرُ ثُمَّ أَنْصَرَفَ.

هل نطمع أن نؤسس حركة فنية في غياب عمل جماعي تتحمل ركائزُه
أمانة الرسالة وقوة الفكرة وثقل الحمل وحرقة الهم وتيرة الحركة؟

إنه لا يتكاسل امرؤ في حمل "حصته" من أنقال الدعوة إلا كانت النتيجة الطبيعية لهذا أن تتحطم أكتاف من ثقل ما تكاسل الآخرون في حمله، ولا يُعْطَلُ مجال من مجالات المدافعة وَرَحِمٌ من أرحام الدعوة أو يُهْمَلُ إِلَّا أَفْضَى الأمر إلى خلل أو شلل في عمل وظائف الحركة العامة للتغيير وأصاها، لَا قَدَرُ اللَّهِ، عقم يتراجع معه المردود العام للدعوة؛ ولا يُتَهَرَّبُ من تهيء الأجواء والظروف للإجابة عن الأسئلة الملحة في وقت مبكر إجابة ميدانية إلا وجدت الحركة نفسها بُعد فيما يَدْعُ الحليم حيران.

الحركة الفنية المرجوة تحتاج إلى رجال شجعان أحرقوا مراكبهم وخاضوا
لحج الميدان وبذلوا لله بفضل الله.

في حرم الله.. وبين يدي رسول الله؟!

روى الترمذي عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ مَكَّةَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ وَعَبَدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ يَمْشِي وَهُوَ يَقُولُ:

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ الْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ
ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا ابْنَ رَوَاحَةَ، بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي حَرَمِ اللَّهِ تَقُولُ الشَّعْرَ؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "خَلَّ عَنْهُ يَا عُمَرُ، فَلِهِيَ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ".

وفي رواية أخرى للنسائي قَالَ عُمَرُ يَا ابْنَ رَوَاحَةَ: فِي حَرَمِ اللَّهِ وَبَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقُولُ هَذَا الشَّعْرَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "خَلَّ عَنْهُ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَكَلَامُهُ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ وَقَعِ النَّبْلِ".

خاصيتان عظيمتان أُخْرِيَانِ مِنْ
خصائص المشروع الفني الذي نؤسس له
تمنحنا إياهما روايتان اثنتان لحديث نبوي واحد:
خاصية ثانية: سرعة في الانتشار.. "أَسْرَعُ فِيهِمْ"
خاصية ثالثة: وفاعلية في التأثير.. "أَشَدُّ عَلَيْهِمْ"

لا نستطيع أن ننشر كلمتنا بالسرعة والفاعلية المطلوبة إلا إن ضاهينا بحركتنا وتيرة حركة الميدان الفني؛ وأنى لنا أن نقيس حركتنا إزاء حركة الميدان إن كنا عنه غائبين وعن أهله غير متواصلين؟!

ولن نكون حاضرين في الميدان إلا بثلاثة شروط:

أ- أن نوظف من الأشكال التعبيرية والأساليب الفنية المشروعة ما يثير آذان الناس وقلوبهم إلى مضموننا كما يثير آذانهم إلى مضمون غيرنا.

ب- أن نطرق من الأبواب مثلما يطرق الناس، وأن نرتقي من المنابر مثلما يرتقون.

ج- أن نتميز بمشروع فني راقٍ وبأسلوب سامٍ سُمُوٍّ أسمى غاية يسعى إليها العبد وهي رضا الله، وهي ما ينبغي أن نستحضر في كل حركة وسكنة لثلاث تطحننا رحي العمل الميداني.

* * *



الأساس الرابع: الإبداع والتجديد

إن كان لنا تصورٌ سليمٌ وواضحٌ وشاملٌ يوجه عملنا، وكان مِنّا وإلينا رجالٌ ونساءٌ واعون مؤطَّرون فاعلون متخصصون مستعدون للبذل والعمل في الميدان.. إن كان لنا كل هذا ولم يتميز مشروعنا الفني الذي نُفرغ فيه خطابنا ومضمونَ رسالتنا بالإبداع والتجديد، فسنكون كتاباً جيِّدَ المضمون، رديءَ التصميم والطباعة، لا يثير فضول الناس لتصفُّحه، ولا يفتح شهيتهم لقراءته...

أساس مزدوج مضاف إلى أسس مشروعنا الفني، لآزِمٌ إن نحن أردنا أن نبي لأُنفُسها على الأرض صرْحاً راسخَ الأسس شديد الأركان: الإبداع والتجديد.

لا مشروع فنيّاً يقوم دون أساليب فنية جديدة تكون عنواناً مهماً من عُنواناته به يُعرَف وعن غيره يتميز.

وكما أنه لا يمكن التأسيسُ لاتجاهات فنية جديدة في غياب استيعاب واع لما سبق من اتجاهات ومدارس فإنه لا حياة لمشروع فني يعيش عالة على إبداعات من سبقه إلا إن استوعبها وجدَّدَ فيها ونفخَ فيها من روحه هو. ولا معنى لحركة فنية لا تبصم على صفحات القلوب وصفحات التاريخ ببصمتها هي..

لا نَكُنْ في فِتْنًا عالة على غيرنا من الناس إلا ما كان حكمةً هي ضالَّة المؤمنين وهم أحق بها، نَعْمَدُ إليها فنزرع فيها روحنا. وإنَّ لنا أباً كريماً وأُمّاً كريمة في موأثدهما من الأرزاق، لو كنا ندرى، ما يكفيننا ويفيض علينا إلى غيرنا إلى ما شاء الله..

الأساس الخامس: التدرج

خلق الله تعالى السموات والأرض في ستة أيام، وخلق الإنسان خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث وهو الذي يقول للشيء كن فيكون لنعتبر ونعلم أن التدرج سُنَّةٌ من سُنَنِ الكون وعنصر من عناصر الخلق وشرط من شروط التغيير.

على أن الذين يستطيعون تحديد وتيرة التدرج وطبيعته وأسلوبه ومداه ومجالاته هم الذين يسكنون بكل الخيوط ويملكون النظرة الشاملة الكاملة للواقع ويجدون من نفحات الميدان ولفحاته ما يُزَكِّي حكمتهم. ويبقى للاجتهادات الفردية التي لا تؤثر على الخط العام زmannها ومكانها ومساحتها المناسبة المعتبرة المُقَدَّرَةُ بِقَدْرِهَا.

لا بد أن يصحبنا التدرج في كل مراحل حركتنا الفنية خاصة حين يتعلق الأمر بخرق عادات النفوس وما أَلَفَتْ مما يقتضي حكمةً ومُدَاراةً.

نتدرج، مقدِّرينَ الوتيرة، في قهبيء أنفسنا نحن لما يستقبلنا من أيام يتحتم علينا فيها أن نخالط الناس ونصبر على أذى الناس لنكون من خيرة الناس إذ نخاطب الناس بخير ما ينفع الناس..





الفصل الثاني

حامل المشروع





1 - صناعة النجوم

صناعة نجوم الفن ورموز الفن ومرترقة الفن، من أمثال بعضٍ ممن نقرأ عنهم في تاريخ الأدب وتاريخ الفن، كان ورائها ما كان من الرغبة في إلهاء الناس بما يشغلهم عن التطلع إلى ما لا يُراد لهم أن يتطلعوا إليه تحت شعار: "اشغَلْهُمْ قبل أن يَشغَلُوك"، ومن تهافتٍ على الاعتاب وعلى فئاتٍ من الدنيا زائلٍ حقير.. ونحن اليوم أمام صناعة لا تختلف عن سابقتها، بل هذه امتدادٌ طبيعي للأصول النفسية والاجتماعية والتاريخية لتلك، مع تطور فظيع في الأساليب والوسائل والأشكال.

قد أصبح تخريج الفنان اليوم علماً وصناعةً قائمين "Stars Making"، وأصبحت لهما معاهد وأجهزة متخصصة، يُلجَّها الإنسان مادةً خاماً: "مشروع فنان"، فيخضع للمناهج "العلمية الفنية" المتقدمة، ويتخرج "فناناً" آلةً جاهزةً للعمل، فاقدًا لـ: "ذاكرته الروحية"، مقبلاً أشد ما يكون الإقبال على الدنيا وعلى الناس الذين يستمد منهم شهرته وقُوَّتُهُ ووجوده، قبل أن تموت موجته على شاطئ الملل وحب التغيير، لتولد ولادةً قيصريَّةً موجةً أخرى تقوم مقام الأولى.. وهكذا دواليك...

وُتصنع على منوال هذه "النجوم" نجومٌ أخرى، على هامشها في المجتمع، بالروح نفسها وبدركات بعضها أسفل من بعض وبأساليب تبدو عفويةً تلي حاجات النفوس المريضة إلى مُسكِّناتٍ ومُنسياتٍ ومُلْهِياتٍ تُحَيِّدُ بضجيجها صوتَ الفطرة المنبعثِ من أعماق النفس...

وفي الساحة الفنية من عيّنات صناعة النجوم، صوتاً وصورةً وحركةً
وشكلاً ومضموناً، ما يغنينا عن وصفها أو الإشارة إليها أو عن التعريف
بطبيعتها...

فما هي طبيعة الصناعة التي نقترحها نحن؟ وما هي طبيعة المعاهد التي نسعى
أن نخرّج منها الفنانين حملة الرسالة الغراء؟ وما هو مضمون حملة المشروع هؤلاء؟
وكيف نستوعب من يقترح علينا نفسه أو نقترحه ليكون سنداً للدعوة وكخلفية
ثقافية لمشروعنا الدعوي؟



2- إلا الذين آمنوا...

كان النبي صلى الله عليه وسلم يَنْقُذُ الشعرَ بما ينسجَم مع روح الوحي، وبما يجعله جديراً بأن يُنْشَدَ من على منبره الشريف.

رُوي أن منشداً أنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قول سويد بن عامر المصطلقى:

لا تَأْمَنَنَّ وإنْ أَمْسَيْتَ فِي حَرَمٍ إنْ المَنَايا بِجَنَبي كُلِّ إنْسانٍ
فَكُلُّ ذِي صَاحِبٍ يَوْمًا يُفَارِقُهُ وَكُلُّ زَادٍ وَإِنْ أَبْقَيْتَهُ فَانٍ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو أدرك هذا الإسلام لأسلم".¹

ما كل الشعراء ينطقون حكمة؛ فَهُم معادنٌ فيهم النفيس وفيهم الرخيص:
[والشعراء يتبعهم الغاؤون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون].

خَفَةٌ وتشتت ومزاجية وهوى متبع ودعوى لا رصيد لها.

إن الذي لا يحمل بين أضلعه قضيةً مُقدَّسةً يَحْيى بها ولها، وفي عقله مشروعا تغييريا يُرَشِّح نفسه للمساهمة مع المساهمين في بنائه على الأرض، لا يستحق، بل لا يستطيع أن يكون ممن استشاهم الحق جل وعلا إذ قال:

¹ - الاستيعاب لابن عبد البر والإصابة لابن حجر العسقلاني.

[إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا].

أ- إيمان بالله وبغيبه..

ب- عمل صالح دليلاً على صدق دعوى الإيمان..

التحلي بالخلق الحسن وحسن المعاشرة والسعي في حاجات الناس والتواضع لله.

ج- ذكر الله كثير تزيكاً للنفس..

قلوب مشبعة بالإيمان، لها في اليوم والليلة محطات للترود بما يجعلها قمينة بنظر الله إليها ومباهاته بهم في الملاء الأعلى.

د- وقضية ينتصر لها..

مشروع بعث خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله..

الإيمان بالله والعمل الصالح والذكر الكثير والانتصار لقضية العدل.. للمظلومين..

ولا ينتصر لقضية "العدل" إلا المؤمنون العاملون الصالحون الذاكرون.. [وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون]¹.

3 - منبر حسن

كان الشعراء في الجزيرة العربية يكتسبون سحر البيان من بيئتهم التي كان الشعر أحد أركانها المعنوية، وكان الشاعر لسان حال القبيلة ورافع لوائها بين القبائل، وكان سوق عكاظ مؤتمراً عاماً للشعراء ونادياً يتطارحون فيه إبداعاتهم ومساجلاتهم الفنية التي عبرت على طول مرحلة ما قبل البعثة عن مدى الفرقة التي شتتت شمل قلوب العرب وقبائلهم.

وجاء الإسلام؛ حاملاً معه رسالة الإيمان بالله واليوم الآخر، فاستوعب القلوب ووحد القبائل تحت لواء التوحيد، ووجه ما كان بالأمس سلاحاً طاحناً للعرى إلى آلة للبناء في الآفاق والأنفس.

كان المسجد في العهد النبوي ملتقى المؤمنين الأول، ومدرستهم التي خرَّجت الرجال والنساء من طينة من يحكي عنهم التاريخ الأغر. ولكن المسجد كان، كذلك، منبراً لتحفيز الهمم ورفع الروح المعنوية بفن العرب الأول آنذاك: الشعر.

أن يكون للمؤمنين مجمع يتناشدون فيه الشعر أمر ليس غريباً عما كانوا يقيمون للكلمة الموزونة المقفاة ألف اعتبار، لكن وضع منبر خاص لشاعر الرسالة في قلب المسجد النبوي هو أجدر بتأمل طويل!

أخرج الترمذي في سننه عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبراً يقوم عليه قائماً يفاخر عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قال: ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما يفاخر أو ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم".

منبر للشعر في المسجد النبوي بَدَلَ سوق عُكاظ!!!

الشعر كان لسان العرب الأفصح، وفي عصرنا هذا تتعدد الألسن وتتناسل خاصة مع وسائل الاتصال التي حطمت الحدود اللغوية والفنية والذوقية، وأصبحت الفنون ألسنة مشتركة فيها فيما بين البشر.

اختيار المسجد كمنبر للشعر إشارةٌ إلى أن خطابنا الفني لا بد أن يصطبغ بصبغة الوحي ويستنير بنوره ويسير على هداية بشروطه المشروطة بأن نَسْتَبِتَ الفنون التي تَبَّتْ في تُرْبَةٍ غير تُرْبَتِنَا وتُسْقَى بماء غير مائنا، أقصد تربة الوحي وماء النبوة، لتكون قمينةً بأن تخاطب الناس من على منبر حسان رضي الله عنه.

لقد كانت الدعوة الإسلامية تستمد عناصر قوتها من قوة النبوة متجلية في النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم، ومن قوة الإيمان في صدور الصحابة رضي الله عنهم، ومن قوة الإنجازات الميدانية التي كانت تكتسح القلوب والأمصار في آن واحد. وكانت قوة الخطاب الشعري "الفني" عاملاً مضافاً إلى ما سبق في أرض الميدان متصلاً بأمين الوحي مُؤَيِّداً بِمَعِيَّتِهِ.

ضعف حركتنا الفنية، فهماً وذوقاً وتكويناً وممارسةً ورموزاً وأساليب، يفتح المجال واسعا أمام "أي" كان لِرَغِيٍّ وَيُزِيدَ في الميدان دون أن يُسْتَطَاعَ شيءٌ



أمام انحرافها عن المسار الصحيح بِسَبَبٍ مِنْ ضَعْفِنَا وَمِنْ قُوَّةِ تَصْفِيقَاتِ الْعَامَةِ مِنْ
لَا خَبْرَةَ لَهُمْ بِالْمِيدَانِ وَلَا خَبَرَ لَهُمْ عَنِ الْآتِي الْقَرِيبِ.

عندما يسوء الفهم وتختلط الأوراق بين يَدَيَّ حركةٍ فنيةٍ لا تزال تَحْبُو،
ينبري لها ذلك "الأيُّ" في غيابٍ من اكتفوا بالسكوت أو بالعزلة والمتابعة من بعيد
كسلاً أو رضىً بالأمر الواقع على الهامش؛ عند هذا يصبح الحال كما لا أَحْسَنَ
من قول المتنبي في وصف سوءه:

وَإِذَا مَا خَلَا الْجَبَانُ بِأَرْضٍ طَلَبَ الطَّعْنَ وَحَدَّهُ وَالنَّزَالَ

فيألى الماريين الساكتين الكسالى القاعدين الراضين بمقعدهم في الصفوف
الخلفية مع عامة المتفرجين، الآمين يوماً يرقى فيه درحات منبرٍ حسانٍ من لا
يعرفون له حقاً ولا يبالون بالدعوة إلا بقدر ما يصيبون منها لا بقدر ما تُصِيبُ هي
منهم...

إلى الفاهمين الذين يكتفون بالنقد والتعليق على ما يصنع غيرهم وبالكلام
الذي لا رصيد له في حساب الدعوة...

إلى العاملين الصادقين الصابرين المتدينين ليطرحوا جُبَّةَ الكسل والبطالة:

هل يساكن الصدق هِمَّةً كسولة في قلب واحد؟

إلى متى.. والقافلة لا تنتظر مُخْلَفاً ولا ضعيفاً راضياً بضعفه؟

إلى متى.. وما كان يُرى بالأمس غداً بعيداً يوشك أن ييزغ فجره؟

إلى متى وما في الوقت متسع للكلام؟ إلى متى؟؟؟

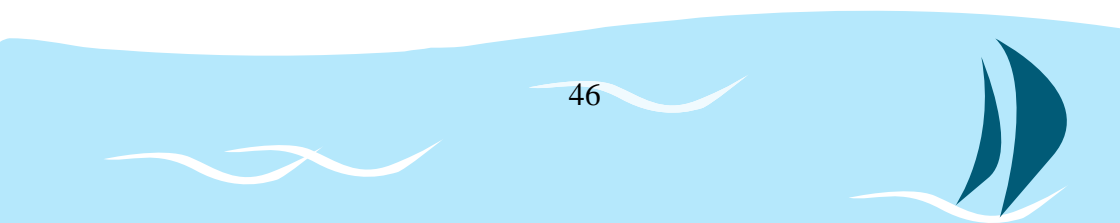




الفصل الثالث

عوائق الحركة الفنية





مقدمة

نريدها "تحركا فنيًا" أم "حركة فنية"؟؟؟

إن الفن بأسلوبه الذي تمارسه أهل الصحة الإسلامية اليوم لا يقوم بدور الدعوة إلا في حدود جدّ ضيقة.. إنْ هو، في بعض الأحيان، إلا أداة "لتنشيط" الأنصار والمتعاطفين ما دام هؤلاء يشكلون أكثر من تسعين في المائة من جمهوره.. جمهور عافت روحه المنتج الفني المعروض في السوق فوجد ضالته في منتج "نقي" يهيج النفس ويريح من أعباء الدعوة هنيهة. وربما يُقبلُ بعضنا على المنتج الفني الإسلامي لما بيننا وبين أهله من نسب دعوي.. لا لشيء آخر..

ثلاثة أهداف أساسية للممارسة الفنية بشكلها الحالي يجب أن نكون واقعيين في التعامل معها لتَطْوِيرَهَا بَعْدُ:

أ - كسب مزيد من الخبرة في أبواب الفن.

ب - الحضور الميداني عبر الأنشطة الفنية.

ج - توسيع دائرة من نتواصل معهم من الناس ليكونوا "رَهْطًا" للدعوة وسنداً ورأيًا عامًا يعرف الدعاة ويتعاطف ما يحملون منرحمة ونور وخير.. وفنٌ لا جمهور له لا حاضر له ولا مستقبل.

تُثبتُ هذه الأهداف ونطورها مع عدم الانحسار في الأشكال التعبيرية التقليدية المتعارف عليها وفي جمهورنا أحادي اللون، بل نتدرج تدرُّجاً في تجاوزهما

إلى الأشكال التعبيرية الرحبة وإلى الجماهير العريضة بكل ألوها لنحقق أهداف الرسالة المحمدية.. رسالة الرحمة والحب.

ومع هذا فالفن لن يستطيع تحقيق أهدافه بمجرد إثارة الغبار بحركة سريعة في رقعة من الأرض مهما اتسعت، في غياب قوة فاعلة لها فهم سليم وتصور واضح للمنطلقات والوسائل والأساليب والأهداف والغاية.

أُفُقنا الميداني الذي نسعى جاهدين إلى تحقيقه هو تأسيس حركة فنية واعية وفاعلة.

وإن الفن الأصل الذي نبشر به اليوم، ونسعى لإخراجه للناس غدا، إن شاء الله، لن يصمد لعاديات الزمن وآفات الطريق إلاّ إن تداركته عناية الله بحركة فنية تحمل على كاهلها عبء المساهمة في نشر الرحمة المحمدية.

إننا نتحرك في الميدان، صادقين متهمّمين، قدر استطاعتنا وإمكانياتنا على الرغم من العقبات التي تعترضنا في الجوانب التخطيطية والإعلامية والفنية والمادية، فكيف لا يبقى عملنا مجرد "تحرُّكٍ فنيّ" بينما نريدها نحن "حركةً فنيةً".

"التحرك الفني" أعمالٌ فنيةٌ وأنشطة فنية وإصدارات فنية وبرامج فنية لا جامع بينها إلا أن لأهلها همّ دعوة الناس إلى الخير.

أما "الحركة الفنية" المرجوة فرجالٌ استوعبوا، ما استطاعوا، المشروع النبوي الذي جاء به الأنبياء والرسل فترجموا مضمونه، بفهمهم وبسلوكهم ما استطاعوا، من لغته الأصلية إلى لغة المشروع الفني، وكانوا أُمَمًا في ذلك ما استطاعوا، فاستخلصوا من هذا المشروع الفني من الإنجازات ومن البرامج ومن

الأعمال ومن الأنشطة ومن الإصدارات ما يفيض عن منبع واحد ويؤلف بينها نسيج واحد ويُنسَبُ إلى أب واحد وأم واحدة.

تَرَاجِمَةٌ يحتاجون أن يكون لهم إلمام واسع باللغة المترجم منها "مشروع الدعوة الكبير" وتخصص علمي في اللغة المترجم إليها "المشروع الفني" وأن يكونوا من العاملين الصادقين الفاعلين في الميدان لا من الهاربين منه أو المصيبين منه.

عندما يكون للأعمال الفنية والأنشطة الفنية والإصدارات الفنية والبرامج الفنية نسبٌ شريف وسندٌ صحيحٌ إلى أبوين شريفيين كريمين تكون روحها من الوحدة ومن الصفاء ومن الفاعلية ما يجعل لها في قلوب الناس قبولاً وفي الميدان تميزاً واتساعاً وفي المستقبل امتداداً وإلى قافلة الموكب النوراني أصولاً تُغذِّيهِ بأنوارها وبركاتها ونفحاتها.

حركة فنية مُنَظَّمَةٌ قويةٌ برجال ونساء صادقين مسلحين بالعلم والخبرة، وقويةٌ بأجهزة سليمة لا تَضُنُّ على "أحباب النبي" المنافحين عن خير نبي بالتشجيع والدعم المادي والمعنوي.

أجهزةٌ أرحامٌ نعمل ونصبر وندعو الله تعالى حتى يبلغَ بها الثُّمُو والنضج وتبلغَ بها العافية ما تستوعب به الطاقات الفنية التي تريد أن يكون لها حَظُّهَا من رضى الله تعالى ونصيبيها من أوسمة "أحباب النبي" صلى الله عليه وسلم وأجرها من شرف البناء ومن كدِّ السواعد ومن عرق الجبين ومن وَهَجِ السَّنَابِكِ وغبار الميدان الأطيب.

* * *



العائق الأول: تأجيل التفكير والتخطيط والإعداد

لِتَتَخَيَّلْ قاعةَ عروضٍ مسرحيةٍ غاصَّةً بجماهيرٍ ظامئةٍ متلهفةٍ وُعدتْ بعرضٍ مسرحيٍّ جديدٍ، بممثلين من طينةٍ مختلفةٍ عما عَهِدَتْ وعَافَتْ ومَلَّتْ فَمَجَّتْ، ونصٍّ مضمونهُ فيه من روح الصفاء والنقاء والخير ما لم يكن في سابقهِ، وإخراجٍ يتقن إدارة "الخشبة" بما فيها ومن فيها بما يمنح من فرص للتواصل مع جمهور هو منه وإليه في عملٍ في تاريخي..

وَعَدٌ.. مجرد وعد.

وَعَدٌ تصدقه أو تُكذِّبه الجماهير إن صبرتْ وأصرتْ على متابعة العرض ومساندة أعضاء الفرقة بقلوبها وعقولها وأكفها إلى آخر لحظة...
إن صبرتْ وأصرتْ.

لنتخيل هذا، ولنتخيل حين يُرفع الستار!

لنتخيل الستار مرفوعاً عن خشبة لا شيء فيها يوحي بافتتاح العرض المسرحي الموعد:

حوارات حائرة بين مجموعة من الفنانين لا يزال نصهم المسرحي الموعد في ضمير الغيب وعلى مستوى "النية"، ينتظرون من يسطره تسطيراً ليعيد المخرج تهيئته حسب الطاقات الفنية الحاضرة والإمكانات المتوفرة وطبيعة الخشبة، لتبدأ بَعْدُ "البروفات" ويُصبَّ الديكور، إلى ما يحتاج كل عرض مسرحي من جهد ومال ودعاية ورجال وغُصَص. كل هذا والجماهير، أو ما تبقى منها ممن لم

ينسحب عيأً ويأساً وأسفاً، تُتابع فراغاً فنياً بدلاً عن عمل فني ناضج جاهز للتنفيذ.

فراغ فني يمكن لفرق مسرحية أخرى تحسن استغلال الفرص التاريخية بدهاء أن تركب موجته وترفع أشرعته وترسو على الخشبة وتملاؤه بأي شيء له شكل العمل الفني مهما كان مضمونه غير ذي رسالة.

إن تأجيل الحسم في الإجابة عن أسئلة الفن وتحدياته وتعليقها، إلى أجل مُسمًى أو غير مسمى، وعدم تأهيلنا لنكون في مستوى الجواب المطلوب إلينا بعد حين إن هو إلا كالفرة المسرحية التي تؤجل التخطيط والتدريب والتأهيل والاستعداد إلى يومٍ تجد نفسها فيه قائمة بل قاعدة أمام جمهور سئم الانتظار ومَلَّ التسويفَ و ينتظر الموعودَ غير المكذوب...

من الأسباب التي تقوم حائلا دون الحسم في الإجابة عن الأسئلة المعلقة:

- أولاً: الحرص على عدم إثارة أي مشكلات جانبية يمكن أن تشوّش على المسار العام للدعوة، خاصة عند الحديث عن الفن الذي يتجلى فيه مدى ما يمكن أن تعانيه الدعوة من تصورات مُركّبة.

- ثانياً: الانشغال عن قضايا الفن بما لا يدع مجالاً للإجابة عن أسئلته على الرغم من إلحاحها الميداني في الحاضر والمستقبل. والبعض يتعامل مع الفن، أحياناً، كما يتعامل عابر سبيل وجد نفسه بغتة وسط صحراء قاحلة لا ماء فيها ولا طعام، ووجد جيفة ملقاة أكل منها ما يسد رمقه ويقيم صلبه ريشما يصل إلى مكان يستغني فيه ويأكل حلالاً طيباً!



- ثالثاً: عدم وجود حركة فنية قوية وفعالة تحسن الترجمة من "لغة المشروع النبوي الكلي" إلى "لغة المشروع الفني الجزئي".. حركة فنية لها مخطط واضح ورجال صادقون لهم تكوين تخصصي يُخوّل لهم الإجابة الميدانية عن الأسئلة المطروحة بتؤدة وحكمة وواقعية وبعد نظر، مع استحضار طبيعة المرحلة ومدى بُعد أو قُرب ما هو آتٍ من تحديات.

إن سؤال: "حلال أم حرام؟" هو السؤال الذي لا تزال الحركات الإسلامية تدور حوله عاجزة عن الإجابة عنه بشجاعة، بينما تضم لائحة الأسئلة العشرات والعشرات مما يعني الجواب عن كل منها تخطيطاً واستعداداً وتكويناً ورجالاً وحركة ميدانية وصبراً وطول نَفَسٍ وتوكلاً على الله تعالى قبل أي شيء وبعد كل شيء.

* * *



العائق الثاني: الحصار الذاتي

نفرح ونبتهج إن أقبل علينا الجمهور في أنشطتنا الفنية العامة وساندنا وسعدَ بما نقدم له، غير أن المساحة المكانية التي نتحرك فيها لا تتجاوز بضعة مئات من الأمتار، والمساحة الزمنية لا تتجاوز بضعة ساعات في بعض الأحيان؛ فأين نحن من الناس في هذه البلاد المترامية الأطراف ومن الساعات والأيام والشهور التي ينفقونها أمام التلفزيون وفي الفضاءات الفنية العامة دون أن يكون لنا من أسماعهم وأبصارهم وأفتدّهم نصيب؟؟

كيف نخرق أسوار الانحصار الإعلامي والميداني الذي نحصر أنفسنا فيه؟

ومتى نخرق أسوار الحصار الفني الذاتي الذي حصرنا فيه أنفسنا إذ قيدناها بأشكال فنية محدودة الجمهور والمردودية والأفق؟

من أشد العوائق التي تعيق الحركة الفنية المرجوة أن ممارستنا الفنية محدودة "مكاناً" في بعض البيوت وبعض الفضاءات الطلابية والجمعية، ومحدودة "زماناً" بحدود نظرة لا تتجاوز مرحلة "الدعوة" إلى مرحلة "الدولة"، ومحدودة "مجتمعياً" في بعض الفئات التي ثابت إلى دين ربها والتي ما يزال فيها بعض ممن لم يجد في الممارسة الفنية الإسلامية بأسلوبها التقليدي بديلاً حقيقياً عما لفظه ولا يزال الحنين يجره إليه جرّاً، ومحدودة "فنياً" في الشعر والأغنية وبعض الاجتهادات المسرحية الخجلى، ومحدودة "غنائياً" في توظيف أسلوب "الإنشاد الديني" الذي يقتصر على الموشح والنشيد والطقطوقة كألوان غنائية، وعلى المديح والابتهاال والحماسيات

كموضوعاتٍ محاورَ تدور عليها دون الجرأة في طرح خطاب شامل شمولية ديننا الحنيف، ومحدودة تكويناً علمياً في رجال صادقين من أبناء الحركة الإسلامية لم يسعوا إلى تزكية ممارستهم الفنية بالعلم.

هذه ألوان من الحدود التي تحصر حركتنا الفنية المنتظرة وتقف حاجزا نفسياً وفنياً وميدانياً بيننا وبين الناس؛ وهناك حدود أخرى تتعلق بتصورنا لمعنى الفن ولطبيعة الفن ولأسلوب توظيف الفن...

فالمسرح، في بعض الأحيان، خطبة جمعة أو مواعظ مباشرة تستر ضعفنا في التعامل مع الفن كأداة "ساحرة" لها سلطان على قلوب الناس وأي سلطان. والملصقات وأغلفة الكتب والأشرطة لا تخرج عن صور المساجد والقيود والقضبان والدماء كأنما حياة المسلم إما مسجد يُصلّى فيه أو سجن يُعَذَّب فيه. وحتى الابتهاال لا يخرج عن علاقة الخوف من الخالق جل وعلا، فلا رجاء في الله ولا فرح بالله ولا حب. أما القصة فتحجب فيها واقع النفس الإنسانية كما هي بحجة الابتعاد عن الابتذال وعن الفتنة؛ وأين العيب في طرح بعض القضايا التي يعيشها الناس، الشباب منهم خاصة، بأسلوب يفني بالمقصود على نور الوحي.

كل هذه الحدود تجعل لممارستنا الفنية تأثيراً محدوداً ومردوديةً محدودةً.

لبعض هذه الحدود أسباب موضوعية مؤقتة، غير أن النظرة المستقبلية ترنو إلى يوم قريب قريب يصبح فيه التحدي هو سؤال: هل لما نقدم للناس من بضاعة قيمة؟ يوم يفتح الفتاح سبحانه.

* * *



العائق الثالث: الشلل النصفي

في متندياتنا ولقاءاتنا وأحاديثنا وحواراتنا في المسألة الفنية وقضايانا الفنية ومشاكلنا الفنية وآفاقنا الفنية ومخططاتنا الفنية ومشاريعنا الفنية لا نكاد نذكر شِقْنًا الثاني الذي لا قيام لنا ولدعوتنا إلاّ به: المرأة.

لا نكاد نذكر هذا الشق إلاّ بالضمن المضمّر تحت التذكير الذي يضمنا جميعاً رجالاً ونساءً، ونَبْنِيهِ، في أحسن الأحوال، للمجهول.

هل هو غيابٌ منطقي يبرره نقصان "طبيعي" فُطِرَتْ عليه حَوَاء؟!

هل هو تجاوز معقولٌ لمن لا تمام لديننا ودعوتنا إلاّ بها؟!

أم إن أمّ الرجال ومربية الأجيال ومدرّسة الأبطال لا قبلَ لها بما لا تسعفها ظروفها وطبيعتها أن تأخذ منه بنصيب، ولا يليق بذات الأنامل الرقيقة أن تزاحم بالأكتاف الرجال في مواطن تحتاج أيادي خشنة؟!

ألأن الفن موطن الفتن ومنبع الأهواء ومصدر الأدواء؟!

لنا في التاريخ القديم والحديث شواهد لنساء مؤمنات كان لهن أوفر نصيب من جهاد السيف جنباً إلى جنب مع أخيها الرجل، في مواطن تُقَطَّع فيها الرؤوس ويُمثَّل فيها بأجساد الشهداء، لا مجرد خشونة يُخاف منها على أكفّ بايعت في صفقة الآخرة على الموت في سبيل الله.

يَا حَبَّذَا مُحَمَّدٌ مِنْ جَارٍ:

ندرس سيرة المجاهدات على مدار التاريخ ونُكبر هِمَمًا كانت معلقةً بالثريا.. لكننا، وفي ميدان لا يُقطع فيه رأس ولا يُمثَّل فيه بجثة، نستكشف أن تُزاحمنا بالأكتاف من لَسَنَ أَقْلٍ منا علماً ولا تجربة ولا هِمًّا ولا حرصاً على رضى الله عز وجل.

نَعَم. الفتنة أشد من القتل؛ ولكن الذي يَجْتَثُّها من الجذور هو النموذج البديل الأصيل الناجح الجميل.

أثبت الميدان والتجربة والنظر في ملك الله وخَلَقِهِ أن المرأة أكثر تأثراً بالفن وأكثر تأثيراً به؛ فكيف تُثَبِّتُ المؤمنات أن الفن الذي يوظفه الاستكبار والترف والشيطان لإلهاء الناس عن مصيرهم هنا وهناك يمكن أن يكون آلةً لإحقاق الحق وإزهاق الباطل، ونوراً يستمد من مشكاة النبوة ما يهدي به الله القلوب إلى بارئها؟ وكيف تُمسح المؤمنات، بِتَلَطُّفٍ، عن الأعين الغشاوة التي لا يُفَرِّقُ معها البعض بين الجمال وبين الفتنة؟ وكيف يستحيل ما يُوظَّفُ سلاحاً لهدم القيم والأخلاق والنفوس أداةً خَيْرَةً للتربية والتغيير والتوجيه والبناء؟

الجمال تَحْبُبُ إلى الله وإلى الناس بما رُخِّصَ فيه، وسِرٌّ من أسرار الدلالة على البديع الجميل بما أودع في الآفاق والأنفس من آيات.

والفتنة طمسٌ وتشويه للبعد الروحي للإنسان، وتزيينٌ شيطاني للبعد التراي منه.

من الناس من لا يستطيع التفريق بين الجمال وبين الفتنة.. بين التميز وبين الشهرة.. بين أن نكون شامة في الناس وبين الإثارة الفارغة.



إلى متى نبقى حبيسي ميراث قديم من عملات غير رائجة لا سند لها ولا نسب، في زمن نحتاج أن نحدد فيه عملتنا دون أن ينقص من قيمتها شيء بل بما يزيدنا قيمة وقدرًا؟

هل هو قدرٌ مقدور أن يعاني جسد الحركة الفنية المرجوة من شلل نصفي وهي ما تزال في رحم الغيب؟

هل هو عين الحكمة أن يحمل المؤمنون، بالنيابة عن المؤمنات، حملاً نُدبوا جميعاً لحمله ويُحاسبون جميعاً على ما عملوا فيه؟

لَمْ لَمْ تَقُلِ الْمُؤْمِنَاتُ كُلَّ كَلِمَاتِهِنَّ بَعْدُ.. أضعف ثقة فيما وهبهنّ المولى الكريم؟ أم خوف سحابة وهم أن لها أن تنقشع؟ أم تردد سابع في "مياه جديدة" .. في محيط عظيم.. في موج كالجبال.. بعدما تجاوزن بحيرة ساكنة هادئة؟

لكل داخل دهشة...

اللهم سدّد الخطى...

روى ابن ماجه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِبَعْضِ الْمَدِينَةِ فَإِذَا هُوَ بِجَوَارٍ يَضْرِبْنَ بِدِفْهِنَّ وَيَتَعَنَّنَ وَيَقْلُنَّ:

نَحْنُ جَوَارٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ يَا حَبَّذَا مُحَمَّدٌ مِنْ جَارِ

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَعْلَمُ اللَّهُ إِنِّي لِأَحِبُّكُمْ".

بِمَ اسْتَحَقَّقْنَ محبة النبي صلى الله عليه وسلم؟



أي فضل هذا وأي شرف وأي تكريم.. أن تنال مادحات حبيب الله محبةً
أحب الخلق إلى الله...

بيت واحد من الشعر تغنت به الجواري في درب من دروب المدينة رفعهن
إلى مرتبة استحققن بها شهادة وتأكيداً بمحبة لا يعيش العبد إلا لها وبها ومعها
ومنها وفيها وعليها.

حديث نبوي شريف، إن جعلته البلابل في قلوبها وبين أعينها كانت هداهداً
جديرةً بحمل رسالة ربها، وكان لها فرقداً تهتدي به في ظلمات البر والبحر، وبلسماً
يمسح على جروحها بيد الرحمة، وبشارةً وساماً علوياً من درجة "أحباب النبي".

* * *



العائق الرابع: الأرحام المريضة

ربما نعلن صادقين أن لا غناء لنا عن الفن؛ ونرفع، لهذا، الشعارَ تلوَ الشعار. فكيف نتجاوز "شعارية" هذا الإعلان إلى عمل ميداني منظم مثمر؟ لا يَسَلِّمُ أي تجمع بشري، مهما كانت طبيعته وخصوصيته ووقديته الشعارات التي يحملها، من أن تَمَسَّ صفحته الناصعة الوضيئة شوائبُ هي من طبيعة أي تجربة إنسانية.

ننسى في كثير من الأحيان هذه الحقيقة، فنواجهُ أي عقبة تتحدانا بقلوب منقبضة وردود فعل متشنجة وعزائم مشتتة، وننسى أننا حَمَلَةٌ رسالة الصدق روحها والصبر والمصابرة زاد مسير أهلها.

أرحام الدعوة:

ما العمل إن أصاب رَحِمًا من أرحام الدعوة، وأتحدث هنا عن رَحِمِ الفن وهي "الدَّودُ الْوَلُودُ"، ما يُضَعِّفُ قابليتها لاحتضان "مشروع جَين" تَقْرُبُه عينا والديه؟

ما العمل؟

هل تُسَرِّحُها سراحاً جميلاً بدعوى أن رَحِمَهَا عَقِمَتْ عن أن تُزِفَّ إلينا بشارة مولود ينمو ويكبر تحت أعيننا يوماً بعد يوم، ويخلق الله تعالى وينسب إليه ما شاء من فضله وكرمه ومِنِّه؟ أم نحاول مراراً وتكراراً تلقيح نطفة أثبت الزمن أن الرَّحِمَ الذي رَجَوْنَا أن يحتضنها "ليس مهياً طيباً" لذلك؟

العمل الميداني صعب، والحكمة إن خلا منها هذا العمل كان أكثر صعوبة وأقل جدوى.

لِنُوقِرْ عَلَى أَنْفُسِنَا عَنَاءَ الْجُهُودِ الَّتِي لَا طَائِلَ مِنْ وِرَائِهَا، وَلِنَفْتَحْ فِي سُورِنَا فَجَوَاتٍ نَوَافِذَ نَظَلْ عِبْرَهَا عَلَى الْعَالَمِ "الخارجي"، نَلْتَمِسَ الْحِكْمَةَ تَوَاصُلًا مَعَ أَهْلِ الْحِكْمَةِ.

فجواتٌ لَا تَمَسُّ أَسْسَ الْبِنْيَانِ وَلَا تَخْرُقُ فِي السَّفِينَةِ خَرْقًا مَحْذُورًا مِنْهُ، بَلْ تَتَحَسَّسُ فِيهِ أَمَاكِنَ تَحْقُقُ الْمَطْلُوبَ دُونَ خَسَائِرٍ.

عَمَلٌ هُوَ أَشْبَهَ بِعَمَلِيَّةِ تَلْقِيحٍ فِيمَا يُسَمَّى: "أَطْفَالُ الْأَنْيَابِ"، رِيْشْمَا يَتَهَيَّأُ رَحِمُنَا "طَبِّيًا" لِاحْتِضَانِ جَنِينِهِ فِي مَكَانِهِ الطَّبِيعِيِّ لِيَنْمُو نَمُوهُ الطَّبِيعِيِّ وَيَقُومَ بِدَوْرِهِ الطَّبِيعِيِّ.

عَمَلِيَّةٌ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقُومَ بِهَا إِلَّا أَطْبَاءُ حُكْمَاءَ، لَا يَقْطَعُونَ، عَلَى مَدَى هَذِهِ الْعَمَلِيَّةِ، الْحَبْلَ الشَّرِّيَّ بَيْنَ الْجَنِينِ وَبَيْنَ رَحِمِهِ الْأَصْلِيِّ، وَيَيْلُونَهَا بِلَالِهَا...

الاختيار الثالث.. درس من الحديبية:

كَيْفَ يَفْعَلُ مَنْ رَزَقَهُمُ اللَّهُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ مَوَاهِبِهِ مَا لَا صَبْرَ لَهُمْ عَلَى كِتْمَانِهِ، فِي مَكَانٍ وَزَمَانٍ وَظُرُوفٍ تَحْتَمُّ عَلَيْهِمُ الْإِنْقِيَادَ لِلخَطِّ الْجَمَاعِيِّ لِلدَّعْوَةِ؟

كَيْفَ نَسْتَوْعِبُ فَنَانِينَ لَهُمُ الْإِسْتِعْدَادُ لِأَنْ يَكُونُوا سَنَدًا لِلدَّعْوَةِ وَخَلْفِيَّةٍ ثَقَافِيَّةٍ لَهَا مَعَ الشُّرُوطِ الصَّعْبَةِ الَّتِي تُرْهِقُ أَهْلَ الدَّعْوَةِ بَلَاءَ الْمُتَعَاطِفِينَ مَعَهَا؟



يصعب على الفنان كَبْتُ طاقاته وتحميد عضو حيٍّ فاعل من أعضائه..
فكيف نجتمع بين توظيف ما أنعم علينا ربنا به من طاقات وبين العمل في حركة
لها رؤيتها ولها خطها الذي يقتضي الواجب الانقياد له؟

نفسُ القَدَرِ عاشه أبو بصير وأبو جندل.. ونفس القدر عاشه ويعيشه الدعاة
الملتطفون إلى الناس.. بما يحب الناس.. بما يرضاه رب الناس..

روى الإمام البخاري عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ
من حديث طويل عن صلح الحديبية:

"... فَجَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا فَدَعَا النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكَاتِبَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ" قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ وَلَكِنْ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ
كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ وَاللَّهِ لَا تَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ" ثُمَّ قَالَ: "هَذَا مَا قَاضَى
عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ" فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ
عَنِ الْبَيْتِ وَلَا قَاتَلْنَاكَ وَلَكِنْ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ: "وَاللَّهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ وَإِنْ كَذَبْتُمُونِي، اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ" قَالَ
الزُّهْرِيُّ وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أُعْطِيَتْهُمْ إِيَّاهَا
فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "عَلَى أَنْ تُخْلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَتَطُوفَ بِهِ".
فَقَالَ سُهَيْلٌ وَاللَّهِ لَا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَا أَحَدُنَا ضُعْطَةً وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ
فَكَتَبَ فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتُهُ

إِلَيْنَا، قَالَ الْمُسْلِمُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلٍ بْنُ سُهِيلٍ بْنُ عَمْرِو يَرْسُفُ فِي قُبُودِهِ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ سُهِيلٌ: هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أَقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ". قَالَ فَوَاللَّهِ إِذَا لَمْ أَصَالِحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فَأَجْزُهُ لِي". قَالَ: مَا أَنَا بِمُجِيرِهِ لَكَ قَالَ: "بَلَى فافْعَلْ" قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ قَالَ مَكْرُزٌ بَلْ قَدْ أَجَزَنَاهُ لَكَ قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ: أَيُّ مَعْشَرِ الْمُسْلِمِينَ أُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ؟ وَكَانَ قَدْ عَذَّبَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي اللَّهِ قَالَ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَاتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: أَلَسْتُ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: "بَلَى" قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُونَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: "بَلَى" قُلْتُ فَلِمَ تُعْطِي الدِّيَّةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ: "إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَسْتُ أَغْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي" ... ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَجَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ (رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَهُوَ مُسْلِمٌ) فَأَرْسَلُوا فِي طَلَبِهِ رَجُلَيْنِ فَقَالُوا: الْعَهْدُ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا فَدَفَعَهُ إِلَى الرَّجُلَيْنِ فَخَرَجَا بِهِ حَتَّى بَلَغَا ذَا الْحُلَيْفَةِ فَنَزَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تَمَرٍ لَهُمْ فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ لِأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى سَيْفَكَ هَذَا يَا فُلَانُ حَيِّدًا فَاسْتَلَّهُ الْآخَرَ فَقَالَ: أَجَلٌ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَحَيِّدٌ لَقَدْ جَرَّبْتُ بِهِ ثُمَّ جَرَّبْتُ فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ: ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْهِ فَأَمَكْنَهُ مِنْهُ فَضْرَبَهُ حَتَّى بَرَدَ وَفَرَ الْآخَرَ حَتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ يَعْدُو فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَأَاهُ: "لَقَدْ رَأَى هَذَا ذُعْرًا" فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَتَلَ وَاللَّهِ صَاحِبِي وَإِنِّي لَمَقْتُولٌ فَجَاءَ أَبُو بَصِيرٍ فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَدْ وَاللَّهِ أَوْفَى اللَّهُ ذِمَّتَكَ.. قَدْ رَدَدْتَنِي إِلَيْهِمْ ثُمَّ أَنْجَانِي اللَّهُ

مِنْهُمْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَيْلٌ لِّأُمَّهِ مَسْعَرٌ حَرْبٌ لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ" فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى سِيفَ الْبَحْرِ. قَالَ: وَيَنَفَلْتُ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَلِ بْنِ سُهَيْلٍ فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ فَجَعَلَ لَا يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عَصَابَةُ فَوَاللَّهِ مَا يَسْمَعُونَ بِعِيرٍ خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ إِلَى الشَّأْمِ إِلَّا اعْتَرَضُوا لَهَا فَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُنَاشِدُهُ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ لَمَّا أُرْسِلَ فَمَنْ أَتَاهُ فَهُوَ آمِنٌ فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ...} حَتَّى بَلَغَ {... الْحِمْيَةَ حِمْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ} ¹ وَكَانَتْ حِمْيَتُهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يُقِرُّوا أَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ وَلَمْ يُقِرُّوا بِهِ: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْبَيْتِ.

كيف يفعل مؤمنون هم فينا كما كان أبو بصير وأبو جندل في رجال الدعوة الأول.. ومعاناة المؤمنين فينا كمعاناة أولئك ممن سبقونا بإيمان؟
وجد أبو بصير وأبو جندل مخرجاً من المحنة التي لقيهاها وألهمهما الله حل معادلة صعبة ما أحوجنا اليوم إلى استلھام روحها:

"... وَيَنَفَلْتُ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَلِ بْنِ سُهَيْلٍ فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ فَجَعَلَ لَا يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عَصَابَةُ..."

في فقرة "أرحام الدعوة" بحثٌ عن مُسوِّغٍ منطقي لرؤية تريد أن تجمع بين الخطين الفردي والجماعي معاً.. مسوِّغٌ منطقي أَمَلْتُهُ التجربة والمعاناة.. غير أن في سيرة الحبيب صلى الله عليه وسلم وسيرة صحبه التأصيلُ الحركيُّ الكافي والدواء الناجعُ الشافي بإذن الله.

عقدت الدولة الإسلامية عهداً مع قريش أحدُ بنوده الأساسية يقضي بأن ترد كل هارب بدينه من أذى قريش إلى مكة وإن كان مسلماً.. عهد رأى فيه المسلمون تنازلاً مجحفاً وهم على الحق..

كان المعلم الحبيب صلى الله عليه وسلم واثقاً من نصر الله.. يرى بنور الله.. وكان أبو بصير وأبو جندل العنصرين اللذين تم على يديهما حل المعادلة الصعبة..

فَمَنْ لَنَا اليوم بمثل أبي بصير وأبي جندل ليجد لنا حلاً للمعادلة الصعبة التي تدوِّخ الرؤوس وتعتصر منها القلوب؟

إن الطاقات الفنية فينا، وأتحدث عن الفن خصوصاً، لا تستطيع تحيُّل نفسها، الآن، إلا في أحد اختيارين:

الاختيار الأول- معسكر الدعوة: مع الشروط الذاتية والموضوعية الصعبة؛ شروط يصعب معها التأسيس لحركة فنية قوية وفاعلة، ويصعب معها توظيف الطاقات الفنية بالأسلوب الذي يمكن أن يدفع بالحركة الفنية والدعوة إلى غاياتها السامية..



الاختيار الثاني - معسكر الواقع: مع احتمال الذوبان في ناره في غياب حركة فنية قوية تعصم مما لا عاصم منه إلا الله.

الاختيار الثالث فمعناه أن تكون حركتنا الفنية حكيمة في قيادة السفينة إلى مرفئها في أمان ودون خسائر؛ معناه أن تجتهد في مصانعة الواقع مصانعةً تحقق أهدافها مع الحرص الشديد الشديد على التمسك بثوابتها أشدَّ ما يكون التمسك وأوثق.

على حركتنا الفنية المرجوة أن تتمسك بالثوابت العامة تَمَسُّكاً يعصمها من الزلل الذي يمكن أن يخرق سفينتها بخرقٍ محذور منه. وَلَنَعْلَمُ أن أخطر أنواع الخرق هو ما نخرقه نحن من سفينتنا، إذ "عَيْنُ الرِّضَى عن كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ". فلننتبه لهذا وإلا.. "لَكَائِكَ يَا أَبَا زَيْدٍ مَا غَزَوْتَ"...

ولنعلم كذلك أن ما فعله أبو بصير وأبو جندل رضي الله عنهما كان عملاً مؤقَّتاً مَحْكُوماً بظرفه مُبَرَّراً بَعْلَتِهِ؛ فلما تَغَيَّرَ الظرف وزالت العلة عاد الخط الفردي لِيَنْفَتِلَ في حبل الخط الجماعي.

إن مصانعة ومقارعة الواقع الفني في بلداننا، في غياب حركة فنية قوية وفاعلة ومؤثرة تصوراً وَعِلْماً ورموزاً وأساليب، هو أشبه بمن يروم زعزعة جبل عن مكانه ببضع ضربات رأسية تُرْذِي صاحبها ولو بعد حين.

وإن كثيراً من الفنانين من أبناء هذه الأمة الطيبة لَيَنْتَظِرُونَ الفرصة السانحة المواتية والجو المناسب والرجال الصادقين ليكونوا حُدَاة القافلة النورانية في مسيرها ونجوماً يُقْتَدَى بها فَيَهْتَدَى في لُجَج بحارها..





الفصل الرابع

خصائص الخطاب الفني



1 - الأصالة

ليكون لحرکتنا الفنية المرجوة سند صحيح إلى النبوة ونسب شريف إلى الوحي لا بد أن تتميز بخطاب في أهم عاصره: الأصالة.

الخطاب الأصيل هو الخطاب المستمد من مشكاة الكتاب والسنة، المستنير بنورهما، الخادم المطيع لأوامرهما، السامع المتبع الداعي لسبيلهما، المصطبغ بصبغتهما، المتحرر للحكمة في إفراغ مضمونهما في القوالب الفنية التي أنتجتها الحكمة والتجربة البشرية مما نحن أحق به، حسب ما تمنحنا الشريعة من مساحات المرونة في التعامل مع الواسع منها والمنحسر ضرورة لازمة.

ربما تشوب بعض اجتهاداتنا الفنية شوائب لا يعود معها لعملنا الفني هوية ولا تكاد تجد له في العالمين نسباً.

إن كان منهاج سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو مَرْجِعُنَا الْأَصِيلَةَ فما لِنَتَّازِعَ غيره من المرجعيات في فننا إلا معنى واحد وتفسير واحد هو أننا لم نستوعب ذلك المنهاج النبوي ولم نَتَشَرَّبْهُ بما يكفي ليصطبغ فننا بصبغته..

الأصالة أن يكون لفننا نسب شريف إلى الوحي.. والخطاب الأصيل هو الخطاب الصافي صفاء مَبْنَعِي الوحي.

الأصالة أن نتحرك فيما نتحرك والمرجع الوحي.

* * *

2 - الشمولية

في القرآن الكريم خطاب شامل لحياة الإنسان كفرد ولحياته كأمة، وفيه خطابٌ هو به لطيف خبير كجسد له ضروراته وعقل له نظراته وروح لها تطلعاتها، ككَدْحٍ له مبتدأ وله منتهى ينتهي إليه حين الموت وما بعد الموت من بعثٍ فحشرٍ فحسابٍ فثوابٍ أو عقابٍ.

في القرآن الكريم خطابٌ مُهِمٌّ جامع لشتات ما يتتاب الأفراد والأمم في الحياة الدنيا وما ينتظرهم في الحياة الأخرى.. حياة الخلود..

جاء في الحديث النبوي الشريف عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"من أصبح وَهْمُهُ غير الله فليس من الله.. ومن أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم"¹.

إن لم نتمثل في فتننا شمولية ديننا العظيم كما يجسده هذا الحديث النبوي العظيم فمعناه أننا نعيش انفصاماً بين ما نتلو من آيات بينات وبين ما يُفرزه تفكيرنا وحركتنا من ممارسة ميدانية لا سَنَدَ صحيح لروايتها ولا نسب شريف لجدورها.

في القرآن الكريم وفي السنة النبوية العطرة نور ساطع للنموذج النبوي الكامل الذي جعله الله تعالى لنا أسوة حسنة نتأسى بها ونهتدي؛ نموذج وأسوة لا

¹- رواه الحاكم في المستدرک.

نرى منها في بعض ما نُنتجُ ونخاطب به الناس إلاّ مساحاتٍ نضيّقُها بقلة فهمنا عن الوحي تضييقاً.

كان رباعي بن عامر جندياً بسيطاً من جند الله إذ ساقه القدر إلى رُسُوم فقال كلمته المشهورة:

"الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن جُور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها..."¹.

وضوح تام لمهمته وهو الجندي البسيط!!

إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد: الإحسان.

إخراج العباد من جور الأديان إلى عدل الإسلام: العدل.

إخراج العباد من ضيق الدنيا إلى سعة ما استخلفنا ربنا فيه مما يضيّق رُسُوم على نفسه فيه.

يرى البعض أنه ليس من شأن الفن ولا من مهماته أن يُحمّل رسالة الدعوة لأننا بهذا نثدّه أو نقيده وهو لا يترعرع ولا ينمو ولا يُثمر إلاّ في أجواء الحرية..

هي نظرة تريد للفن أن ينحسر في فردية رهبانية انعزالية انطوائية منكشمة على ذاتها؛ ناقصة عقلٍ هي إذ لا بصر لها بشؤون زمانها: "وعلى العاقل أن يكون بصيراً بشؤون زمانه..."².

1- رواه ابن كثير في البداية والنهاية.

2- رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد.

وروى الإمام أحمد عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ
لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَنْزَلَ فِي الشَّعْرِ مَا أَنْزَلَ.. فَقَالَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُجَاهِدُ بِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ.. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ،
لَكَأَنَّ مَا تَرْمُونَهُمْ بِهِ نَضْحُ النَّبْلِ".

جهاد السيف واللسان.. في صف واحد...

وعِظُ الجهاد يكون بعِظ القلب الذي يحمل آله وبعِظ مردوديته في
الميدان..

النظرة التي لا بَصَرَ لها بشؤون زمانها تريد إقصاء الفن عن أن يقوم بدوره
الإنساني الكوني التاريخي الرباني.. لا تريد "تَسْيِيسَ الفن"!! لا تريد "أَدْلَجَةَ الفن"!!
في الوقت الذي يجلب فنُّ غيرنا من الناس بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ على بيوتنا وقلوبنا وعقولنا
وأعمارنا ومصيرنا دنياً وأخرى..

هي نظرة تُعْنِي بعيداً عن السرب..

وعلى هامش الميدان..

ومن خارج التاريخ.

ويرى بعضُ آخرُ من الناس أن الدعوة هي أغنى ما تكون عن الفن
وعن ما يَهْبُ عَلَيْنَا من رياح الفن! وأننا ينبغي أن نعوّل في إيصال رسالتنا على
التواصل المباشر بين الناس وبين الوحي دُونَمَا حاجة إلى ترجمان.



إن حال أصحاب هذه النظرة كحال من يريد أن يَنْقُذَ من أقطار السماوات والأرض؛ أئنّ يستطيع؟! إلاّ بسلطان...

نظرتان للفن مختلفتان في مُنطلقهما متحدتان في نتيجهما:

الأولى تريد الحفاظ على جمال الفن من وهج السنابك ومن الغبار الأظلم في سُوح الوغى!!

والثانية تريد الحفاظ على قدسية الدعوة أن تُلوّثها "أدران الفن"!!

وبكلتا النظرتين وبحسن نية نقطع من أرحام الدعوة ما أمر الله به أن يوصل.

صِلّةٌ ينبغي أن تتمثل أولَ شيءٍ مع مَنْ حولنا.. مع أنفسنا.. مع ذاتنا.. مع من هم منا ونحن منهم.. وفيما بين مَنْ خلقهم الله من نفس واحدة وبثّ منهم رجالاً كثيراً ونساءً..

* * *



"قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا}¹.

السداد أن يكون وراء الشكل الفني الجميل رسالة واضحة للإنسان تترجم له معاني الحق القرآنية النبوية كما ترجم بعضها الصحابيُّ الجليل عبد الله بن كرز فبكى الصحابة وبكى النبي صلى الله عليه وسلم في الباكين.

السداد أن يكون للفن غاية نبيلة صادقة مع هذا الإنسان تشرح له بكل شكل وبكل أسلوب وبكل وسيلة رُخِّصَ لنا فيها عِلَّةٌ وجوده وغاية سعيه.

السداد أن يُحَفِّزَ الفنُّ المتلقيَّ ليطرح عنه جبة الكسل واللامبالاة والغفلة والتبیه ويتزَيَّى بلباس التقوى ويتزينَ بزينة الإيمان ليكون لوجوده غاية ولسعيه معنى ولكدحه برنامجٌ يرتقي به على مدارج الإيمان.

لا لـ: "الفن من أجل الفن" .. فلأجل من يكون إذن؟؟

{قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين}².

* * *

1- سورة الأحزاب - 70.

2- سورة الأنعام - 165/164.

4 - الْجَمَال

روى الدارمي عن البراء قال: يقول صلى الله عليه وسلم: "حَسِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ، فَإِنَّ الصَّوْتَ الْحَسَنَ يَزِيدُ الْقُرْآنَ حَسَنًا".

وهل يحتاج كلام البديع الجميل إلى مَنْ يُحَسِّنُهُ أو يُزَيِّنُهُ أو يُجَمِّلُهُ؟!!!

← { خاصية رابعة من خصائص الفن
التَّزْيِين }

في قلب المؤمن الداعية نور وهاج؛ والفن أداة من أدوات بث ذلك النور في قلوب الناس عبر أسماعهم وأبصارهم ومنافذ عقولهم وأرواحهم. فكيف نوفق بين جمال الشكل وبين قدسية المضمون دون أن تتوارى الرسالة خلف حُجب العمل الفني أو يسقط الفن في جفاف التوجيه المباشر؟

كيف يكون فننا كالمصباح الغازي إذ تساهم الزجاجاة الشفافة في تكثيف ضوء الشعلة وفي توزيعه في أفصح فضاء ممكن ليستنير الناس بنوره؟

إن اقتصرنا في المصباح على الشعلة دون الزجاجاة فلا نأمن عليها من ريح تطفئها، ولا نضمن إن بَقِيَتْ أن تكفي لتنويرنا. وإن اقتصرنا على الزجاجاة دون الشعلة فلا ينفعنا شكل الزجاجاة الجميل في ليل بهيم حالك.

هذه هي المعادلة التي تجعل لفننا معنى إن وُفِّقْنَا لحلها؛ فمهمة خطابنا الفني أن يستدرج جماله قلوبَ الناس إلى قدسية مضمونه، لا أن يحجبها عنه.

5 - الحكمة

من معاني الحكمة مراعاة أحوال ونفوس وعقول من نخاطب من الناس:
"خاطبوا الناس على قدر عقولهم"

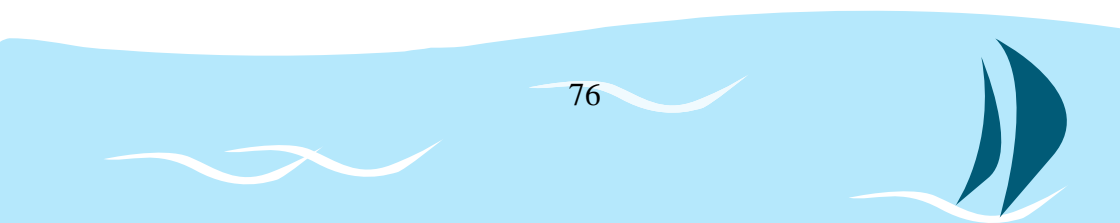
.. ومن معانيها التدرج في تَنْزِيلِ الحق حتى يستأنس به المستوحش ويفتح
الله له قلوب من يحب. من معاني الحكمة القوة..

كان خطاب ربي بن عامر خطاباً أصيلاً بانتسابه إلى الوحي وبإجابته عن
غاية وجوده، وكان خطاباً شاملاً يجمعه بين العدل والإحسان، بين الدنيا والآخرة،
وكان خطاباً سديداً يبلوغه المراد بعبارة واضحة لا لبس فيها، وكان خطاباً جميلاً
بما يناسب ذوق رجل عربي في ذلك الزمان وذلك المكان وذلك الظرف، وبتوسيعه
المقصود لدنيا هي طلبة رستم ترغيباً له في آخرة هي مرمى ربي.. وكان خطاباً
حكيماً بما فيه من قوة زادها قوة الأسلوب الواثق بالله الذي دخل به الجندي
البسيط على أكبر قادة الفرس آنذاك.

خطاب تجلّى فيه مدى فهم جندي بسيط من جند الله لرسالته التي ورثها
عن النبي صلى الله عليه وسلم.

* * *



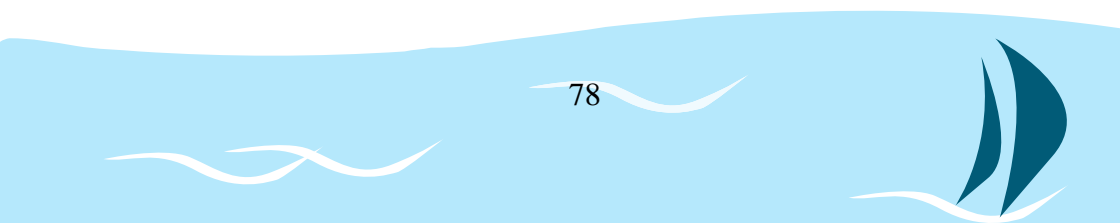


الفصل الخامس

رسالة الفن

"أهداف المشروع الفني"





مقدمة

لَمْ لَا نَتَعَلَّمْ مِنْ مَخْلُوقٍ تَشْرَفُ بِأَنْ جَعَلَهُ اللَّهُ لَنَا قِصَّةً وَمِثَالاً مُتَلَوًّا لِلْمُتَدَبِّرِينَ
إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ؟

تَعَالَوْا بِنَا نَتَهَدَّدُ بِصَحْبَةِ شَاهِدٍ مِنَ الشَّاهِدِينَ النَّاصِحِينَ الْفَالِحِينَ مِمَّنْ بَلَّغُوا
وَبَشَرُوا وَأَنْذَرُوا فَأَعْذَرُوا.

قال تعالى في سورة النمل:

(وَتَفْقَدُ الطَّيْرُ فَقَالَ: مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدَّ هَدُ أَمْ كَانَ مِنَ
الْغَائِبِينَ؟ لِأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لِأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ
مُبِينٍ. فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ: أَحْطَتْ بِمَا لَمْ تَحْطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ
سِيا بَنِيآ يَقِينٍ، إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ، وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ
وَزِينُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ أَلَا
يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا
تَخْفُونَ وَمَا تَعْلَنُونَ. اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ. قَالَ: سَنَنْظُرُ
أَصْدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ. اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ
عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ. قَالَتْ: يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ
كَرِيمٌ. إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أَلَّا تَعْلَمُوا
عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ).

خمس رسائل مباركة اضطلع بها الهدهد، مطابقة لما يجمعه قوله تعالى مخاطبا
حبيبه العظيم صلى الله عليه وسلم: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا
وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا¹).

* * *



الرسالة الأولى: الشهادة

[يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً]¹

ما كان الهدهد غائباً إذ تطلب الموقف شهادته، بل كانت شهادته سبباً في هداية ملكة سبياً وقومها، وكانت غيرة على حرمت الله إذ عُبِدَت الشمس من دونه سبحانه. وما أكثر الشموس التي تُعْبَدُ من دون الله من هوى يَهْوِي بِصاحبه إلى الهاوية ومالٍ يميل بالنفس عن سبيل الله وشهرة تُعْشِي على الأبصار والبصائر.

قال القاضي عياض رحمه الله: "جمع الله تعالى له في هذه الآية ضرباً من رتب الأثرّة (الانفراد)، وجملة أوصافٍ من المدحّة، فجعله شاهداً على أمته بإبلاغهم الرسالة وهي من خصائصه صلى الله عليه وسلم، ومبشراً لأهل طاعته، ونذيراً لأهل معصيته، وداعياً إلى توحيده وعبادته، وسراجاً منيراً يُهْتَدَى به للحق"².

الفن عبادة من العبادة سامية، وَقَفْنُ من أفنان شجرة الرسالة الخالدة مزهرٌ مثمرٌ، وشهادةٌ مزدوجة على النفس وعلى الناس؛ أو هكذا يجب أن يكون.

الشهادة أن نلج منتديات الناس الخاصة والعامة، في البيوت وفي المنتديات والفضاءات الثقافية والفنية وعلى المنابر الإعلامية حضوراً دائماً متميزاً مبشراً.

* * *

1- سورة الأحزاب آية: 45.

2- كتاب: "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" للقاضي عياض، ص: 23. دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

الرسالتان الثانية والثالثة: البشارة والندارة

[وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا]¹

حمل الهدهد إلى ملكة سبأ رسالة فيها بشارة وندارة.. ترغيب وترهيب.. وعد ووعد.. [وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين]، وبعد أخذ ورد استجابت بلقيس لرسالة الهدهد التي ألقاها إليها بإذن ربه، فاستنار قلبها و [قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين].

الفنان الحقيقي نسمة رقيقة تُحيل الكدر صفاءً ينعش النفوس المكدودة، وبسمة صادقة تمسح بلطفها على الصدور العليلة، ونعمة مبشرة تفتح للناس أبواب الخير والسعادة والأمل في غد مشرق، وكلمة مبشرة محببة سلوك سبل حياة الخلود في النعيم المقيم.

والفنان الحقيقي عينٌ مقبلة على الذات ناقدة فاحصة، ساهرة على الأمة وروح الأمة وقيم الأمة أن تتسلل إليها في ليل الغفلة البهيم هوام الرذيلة والخور والجور، وهو حنّاء (أضلع) تحوط قلبها لتصد عنه الضربات ليحفظ إيقاع خفقانه مضبوطاً موزوناً، وهو روح من الروح ينفخ فيها فيبعث فيها جذوة نور الحق الأثيل الأصيل، وهو سيف من سيوفها مُصلّت على كل ظلم وظالم.

ليس الفنان الحقيقي حِرَاءِ تَتَلَوْنَ بِتَلَوْنٍ مَا تَدِبُّ عَلَيْهِ عَلَى حَدِّ قَوْلِ الْقَائِلِ:
"دَارِهِمْ مَا دُمْتَ فِي دَارِهِمْ وَأَرْضِهِمْ مَا دُمْتَ فِي أَرْضِهِمْ"، لكن الفنان هو ذلك
الذي يشهد شهادة الحق وهو يَسْتَقِلُّ رَأْسَهُ!

البشارة والندارة مَعْنَيَانِ يَعْمَلَانِ فِي النَفْسِ عَمَلَهُمَا تَرْغِيًّا فِيمَا هُوَ خَيْرٌ
وَأَبْقَى، وَتَرْهِيًّا مِنْ عَاقِبَةِ مَا يُرْدِي فِي الْهََاوِيَةِ أَسْفَلَ سَافِلِينَ.

مَعْنَيَانِ يَعْرِفُ الدَّاعِي بِمَقَامَيْهِمَا لَحْنَ الدَّعْوَةِ عَلَى وَتَرِي الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ
مَعًا.

* * *



الرسالة الرابعة: الدعوة إلى الله بإذنه

[وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ]¹

الفن في واقع هذا العالم لاهٍ مُلَهٍ عن ذكر الله.. هو وسيلة مزدوجة المفعول: طَمَسُ لمعالم الروح وتلويثُ لصفاء مرآتها لتتسنى أن لها غايةً خُلِقَتْ من أجلها وحياةٌ بعد الموت لا مرء فيها، بقدر ما هو مخدر لكل نفس غافلة تائهة في دروب الضياع والضلال؛ وما بين المفعولين رباطٌ متينٌ فُتِلَتْ حباله فتلاً يقوي أحد طرفيه الآخر.

إن فناً شعاره أغنية فريد الأطرش:

"الحياه حلوة.. بس نفهمها..

"الحياه حلوة ما أحلى أنغامها..

"ارقصوا وغنوا وقولوا: الحياه حلوة..

"فوزوا بمتاعها، وانسوا أوجاعها...

"دي الحياه حلوة...".

إن فناً هذا شعاره لهُوَ أَطْرَشُ، أي ذاك الفن، عن سماع صوت الفطرة الذي وُئِدَ في أرض الغفلة واللهو؛ وهو بهذا أداة تجميل وتزيين لعجوز شمطاء هي

١- سورة الأحزاب آية: 45.

الدنيا؛ تحمّلٌ وتزيينٌ في عَيْنِي نفسِ الإنسانِ التائه الذي يُعوّضُ حاجته الفطرية إلى زينة الإيمان باللهات وراء رغبات وشهوات لا يسد جَوْعَتَهَا إلا التراب.

كانت رحلة الهدد الأولى رحلة مبادرة تلقائية لداعية مهموم لم ينتظر أمراً للقيام بما أَمَلَتْهُ عليه غيرُته على دين الله، وكانت رحلته الثانية امتثالاً لواجب الطاعة لأمر سيدنا سليمان:

[قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ. اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ].

في المبادرة دليل على استقلالية إرادة المؤمن وعلى إيجابيته وفعاليته، وفي الامتثال للأمر دليل على قدرته الكبيرة على توطين النفس ليكون لبنةً من لبنات البناء.

وفي المبادرة والامتثال دليل على تمام نعمة الله على الداعية أن أهمه التوفيق والسداد في ما يتحرك ويسكن، وما يُقَدِّمُ ويُحْجِمُ، وما يَخْتَارُ ويدع، وما يُسْرِعُ ويُيَطِّئُ، وما يعطي ويمنع.

إن آنسَ الربُّ من عبده، وهو أعلم بعبده، صدقاً في سعيه وكده وتسليماً لقَدَرِهِ وكتابه وصبراً على ما لا تهوى نفسه مما ينأى به إتيائه عن رشده ورجوعاً إليه في رخائه والشدة كان مُلْهِمَهُ ومُوقِّفَهُ ومدبِّرَ أمره عنه. بما لو اجتمع الجن والإنس ليلهموه أو يوفقوه أو يدبروه ما تأتَّى لهم ذلك أبداً.

* * *



[وَسِرَاجاً مُنِيرًا]¹

في لَمْسَةِ الفنان وشعر الشاعر وبيان النَّاثِرِ وترنيمه المغني وتعبير الممثل روح،
وفي صدورهم زفرات، وفي قلوبهم هموم، وفي حلوقهم غُصَصٌ وَحُرَقٌ، وفي
نفوسهم آلامٌ وآمالٌ وتطلعات، وفي عزائمهم إرادات، وَلِهَمَمِهِمْ غَايَاتٌ، إِنْ وَافَتْهَا
نفحاتُ الإيمان ونسائمُ القربِ وَبُشْرَيَاتُ التأييد بالغيب والشهادة يَتَبَشَّشُ بها
الحق إليهم كأنما يسائلهم بحب ورحمة:

أَرْضَيْتُمْ عني عبادي؟

هذه نفحاتي إليكم أَنْزَلُهَا عليكم تَنْزِيلاً لِأُقَرِّبَكُمْ مني بها قرباً.

قولوا للناس بكل عبارة أرضاها وأويدها وأباركها، مما مَنَحْتُكُمْ مواهبها
وتفضلتُ عليكم بتباشيرها وجعلتكم ألسنةً ناطقةً بِلُغَتِهَا من دون الخلق، أني أنا
الله الرحيم الحليم الكريم الودود الغفور الشكور، وأنني أنا الخالق البارئ، إِلَهِيَّ
مرجعكم فأجازي من أحببت وأتجاوز عن من أحببت وأذيق الجاني بعض ما كسبت
يدها.

نُورُوا قلوبَ الناس بما نُورْتُ به قلوبَكُمْ من أنوار الوحي ومواهب الفضل،
واستدرجوها إلى مساجدي التي هي بيوتي في الأرض، وإلى حِلَقِ ذكري التي تحفها
ملائكتي برحمتي وسكيني، وإلى مواطنِ المنفعة عن ديني حيث أمتحنُ عزائمَ

عبادي، استدراجاً بالستكم التي جَعَلْتُ اختلافها آيةً من آياتي ليأخذ كلُّ سامع وكلُّ ناظر وكلُّ ذي فؤاد -مما تُلقونهُ إليهم من حكمي- حَظَّهُ الْمُقَدَّرَ له وعطاءَه الذي أُسَوِّقُهُ إِلَيْهِمْ بَيِّنَاتٍ وَأَلْسِنَتِكُمْ.. وما كان عطاءُ ربك محظوراً.. وما كان عطاءُ ربك محظوراً...

* * *



على مثل هذا فليغنّ من غنى

روى الشاطبي¹ عن أبي الحسن القرافي عن الحسن أن قوما أتوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالوا: يا أمير المؤمنين، إن لنا إماماً إذا فرغ من صلاته تَغَنَّى. فقال عمر: من هو؟ فذَكَرَ الرجلُ. فقال: قوموا بنا إليه.. فقام مع عمر جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حتى أتوا الرجل وهو في المسجد، فلما أن نظر إلى عمر قام فاستقبله. فقال: يا أمير المؤمنين: ما حاجتك وما جاء بك؟ إن كانت الحاجة لنا كنا أحق بذلك أن نأتيك، وإن كانت الحاجة لك فأحق من عظمناه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال عمر: ويحك، بلغني عنك أمر ساءني!! قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: أَتَمَجَّن في عبادتك؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، لكنها عظة أعظ بها نفسي!! قال عمر: قلها، فإن كانت كلاماً حسناً قلتها معك، وإن كان قبيحاً نهيتهك عنه. فقال الرجل:

وفؤادٍ كلما عاتبته

في مدى الهجران يبغي تعبي

لا أراه الدهرَ إلّا لاهياً

في تماديه فَقَدْ بَرَّحَ بي

يا قرين السوء ما هذا الصِّبا

فَنَيَّ العمر كذا في اللعبِ

وشبابٍ بَانَ عني فمضى

قبل أن أقضيَ منه أَرْبِي

ما أَرْجِي بعده إِلَّا الفنا

ضَيَّقَ الشيبَ عليَّ مطلبي

ويح نفسي لا أراها أبدا

في جميل لا ولا في أدبٍ

نفسُ لا كنتِ ولا كان الهوى

راقبي المولى وخافي وارهبي

فقال عمر رضي الله عنه:

نفسُ لا كنتِ ولا كان الهوى

راقبي المولى وخافي وارهبي

ثم قال عمر رضي الله عنه: على مثل هذا فليغن من غنى.

ما أعظم هذه القصة وما أجلاً عَبَرَهَا!!!

متى كان يتغنى الرجل؟/ "... إذا فَرَغَ من صلاته تَغَنَّى".



فهل نتغنى نحن إذا فرغنا من صلاتنا؟ أم إننا نصلي بعد أن نفرغ من غنائنا؟! وما حَظُّ صلاتنا من عمرنا وما حظ غنائنا منه؟

- "... أأتمجّن في عبادتك؟"

- "عظة أعظ بها نفسي".

لم يكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليمنع رجلاً من الغناء ما دام "كلاماً حسناً"، وما كان لينسى توجيه المعلم المربي صلى الله عليه وسلم في حديث أنس الذي أقسم فيه صلى الله عليه وسلم بأن "كلام" ابن رواحة كان أشد على المشركين من وقع النبل.. ولم يكن ثاني الخلفاء الراشدين رضي الله عنه وعنهم مهتماً بالشكل: "الغناء" ما دام مشروعاً، بقدر ما كان مهتماً بالمضمون: "الكلام": "قلها، فإن كانت كلاماً حسناً قلته معك، وإن كان قبيحاً نهيتك عنه".

إن كان غناؤنا أسفاً على ما تقضى من زمن الذكر في النسيان، أو من زمن الصدق في البهتان، أو من زمن الشوق في الهجران، أو من زمن الاغتنام في العصيان، أو من زمن الشكر في الكفران...

أو كان غناؤنا رجاءً في عفوٍ قادرٍ حلیم، أو دعاءً في خوفٍ ليلٍ بهيم، أو نداءً مستصرخٍ مستنجدٍ بربٍ رحيم، أو تبرّءاً من حولٍ وقوةٍ عبدٍ أثيم..
أو كان غناؤنا كلمةً حقّ في وجه ظالم متعجّر، أو نصيحةً صدقٍ في سرٍّ غافل مستهتر..

أو كان غناؤنا نصرةً لمظلوم، أو سلوىً لمهموم، أو عوناً لمعدوم..



أو كان غناؤنا ترجمانا أميناً مأموناً لخواطر النفس، وتطلعاً صادقاً لحضرة
القدس، وتسييحاً زكياً في معبد الأنس..

أو كان غناؤنا أشواقاً سامية مما غرس فينا المولى الجليل، أو استراحةً مكدود
من وعشاء سَبَحِ النهار الطويل، أو زفراتٍ يثبها قلب عليل..

إن كان غناؤنا كذلك.. فعلى مثل هذا فليغن من غنى؛ وإلاً فهو لهو من
اللهو، ولعب من اللعب، وعبث من العبث...

يا أيها البلبلُ المغرّدُ..

يا أيها القائمُ من نفسي مقام الروح من الجسد، المتخذُ من جوانحي عشّاً
يرد عليك رجع أنغامك وأشجانك..

هأنت تُخلِّقُ بين مقامات الأنغام من صبا لِهْزَامٍ، ومن حِجَازٍ لِعُشَيْرَانٍ،
فهل ترتقي في مقامات الإيمان بقدر ما تتنقل بين مقامات الأنغام؟

ربما كنت، أيها البلبل، أعذبَ صوتاً من الهدهد وأندى، فهل تكون أفصح
منه لساناً وأصدق وأجدى؟

أيها البلبل..

أما آن لك أن تتهدد؟

أما آن لهذا الصوت الندي الشجي الذي ملأ الدنيا ببراعته وشغل الناس
بعذوبته أن يُسَبِّحَ لمبدعه تسييحاً، ويحمده حمداً، ويُهَلِّلَهُ قهليلاً، ويكبره تكبيراً؟



تسبيحُ يتناغم مع تساييح الكون بأرضه وسمائه، وبحاره وجباله، وأشجاره وأطيّاره، وحمدٌ وثناء وشكر يُقيّدُ ما أنعم به عليك بارؤك من نِعَمٍ هي من العِظَمِ بحيث لا قبل لك بشكر واحدة منها، وتَهْلِيلُ يُروِّي رُوحَكَ الظمأى إلى المنهل العذب الصافي، والمورد الزلال الشافي [وُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ]، وتكبير لا يكبر معه كبير إلا و"الله أكبر"، ولا يعظم معه عظيم إلا و"الله أجلُّ وأعظم"، ولا يتزل معه خطب جسيم إلا [والله يعصمك من الناس].

لا يَكُنْ هدهد سليمان أفصحَ منك لسانا، ولا أصدقَ منك خطابا، ولا أحق بالشهادة على قومه منك على قومك..

هو جاء سليمانَ وقوم سليمان من سبأ بنيا يقين لا يتطرق إليه شك أو غموض، مستنكرا أن يُعبد من دون الله ما ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة.. فأَيُّ نبيّا جئتَ به قومك أنت؟

هو لم يَغِبْ، بل كان شاهدا أميناً، حاضراً مسؤولاً، وساهم برسالته في هداية بلقيس وقومها؛ فكيف تَغِيبُ أنتَ عما لا نجاة لك إلا بالإحاطة به، وعمّن لا فلاح لك إلاً بالتقرب إليه؟

جعل الله الهدى قصة تتلى في كتابه عبر الزمان والمكان لِيُفَهِّمَنَا سبحانه أن شهادته وبيّارته ونذارته ودعوته إليه بإذنه ونورانيته أَهْلُهُ وهو طائر لِمَا أنتَ أولى أن تكون له أهلاً وأنتَ خليفته في أرضه ووارثُ نبيّه وحاملُ رسالته.

يا رب..

اللهم أَلْقِ علي حبةً منك..



واصنعي علي عينك..

واستخلصني لنفسك..

وافتح لي أبواب رحمتك.. واجعلي قدرا من أقدارك.. وأعني على ذلك...

اللهم استرني بسترِكَ.. واغمرني بحلمك، واشملي بعفوك.. وتوكلني

ياحسانك.. واجعلي من أوليائك ورجالك..

آمين... آمين... آمين... والحمد لله رب العالمين.

وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان

إلى يوم الدين.

الدار البيضاء عصر الأربعاء

27 صفر الخير 1424 هـ /

30 أبريل 2003 م.





الفهرس

إهداء 5

استفتاح 7

مقدمات

مدخل 11

الفن والدعوة 14

سلطان الفن 17

الفصل الأول: أسس المشروع الفني

1 - التصور الواضح 23

2 - التخصص 25

3 - الفاعلية الميدانية 27

4 - الإبداع والتحديد 32

5 - التدرج 33

الفصل الثاني: حامل المشروع الفني

1 - صناعة النجوم 37

2 - إلا الذين آمنوا 39

3 - منبر حسان 41

الفصل الثالث: عوائق المشروع الفني

مقدمة 47

1 - العائق الأول: تأجيل التفكير والتخطيط 50



- 2 - - العائق الثاني: الحصار الذاتي 53
- 3 - - العائق الثالث: الشلل النصفي 55
- 4 - - العائق الرابع: الأرحام "المريضة" 59

الفصل الرابع: خصائص الخطاب الفني

- 1 - الأصالة 68
- 2 - الشمولية 69
- 3 - السداد 73
- 4 - الجمال 74
- 5 - الحكمة 75

الفصل الخامس: أهداف المشروع الفني

- 1 - الشهادة 81
- 2/3 - البشارة والندارة 82
- 4 - الدعوة إلى الله بإذنه 84
- 5 - التنوير 86
- وختاماً 88

Mohamed Larbi Abouhazm

E-mail :

m_hazeem@hotmail.com

m_abouhazm@yahoo.fr

Mobile : +212 62 55 10 50



للمؤلف:

"فن الغناء" مع شريط سمعيّ تعليميّ

"فرقنا الغنائية.. أفكار من أجل التأسيس" (أرضية لمشروع فني)

"رنيم" (ديوان شعر)

شرح قصيدة البردة

"أوراق الزيتون" (قصة)

"الخصائص الفنية لتجويد القرآن الكريم" (رسالة)

